إضاءات
في الفكر والتربية

محمود حسن جناحي

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

المقدمة ص٤

الفصل الأول: في الدعوة والتربية ص٥

أقوال في تعريف التربية ص٦

ابن القيّم يحدثنا عن المعاصي والذنوب ص٧

الحياة منح ومحن ص٨

الدعوة في قلبه وعقله ودمه ص٩

الرجل المناسب في المكان المناسب ص١٠

السمت ص١١

العتاب على قدر الخطأ ص١٢

الفاعلية ص١٣

اللحظات الأخيرة ص١٤

بالمؤمنين رءوف رحيم ص١٥

تنبيهات على طريق الدعوة ص١٦

عن التوريث الدعوي ص١٨

لا تكسر ظهر أخيك ص١٩

لسان أم ثعبان؟! ص٢٠

نعْم المربي ص٢١

مهارات مطلوبة للمربي الناجح ص٢٢

هكذا تكون المنافسة ص٢٣

هكذا كانوا في طلب العلم ص٢٤

هكذا يكون ردّ الجميل ص٢٥

الثبات على المبادئ في خضم الفتن ص٢٦

الفصل الثاني: في الفكر والثقافة ص٢٨

الحركة الإسلامية وحركة التاريخ ص٢٩

الغرب ومهزلة مذابح الأرمن ص٣١

قبل أن ينقرض الكتاب! ص٣٣

ما الذي يربطنا بفلسطين والقدس؟ ص٣٥

ما هو الدهاء السياسي؟ ص٣٦

أساطير معاصرة من ديار الغرب ص٣٧

الدكتور عدنان إبراهيم وأشكاله ص٣٩

الفيلسوف عبدالرحمن بدوي.. يا لها من عبرة ص٤٢

القابلية للمقاومة في أمتنا: الشعب الفلسطيني أنموذجا ص٤٤

الصلة بين اليهود والشيوعية: حقائق وأرقام ص٤٧

سطور في فقه الواقع ص٥١

مع الدكتور سعد المرصفي وموسوعته عن الوسطية ص٥٤

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد..

التربية في الإسلام تربية شاملة، سواء من حيث المحتوى، أو من حيث الذين تشملهم هذه التربية.

تخاطب التربية الإسلامية جميع أفراد المجتمع المسلم: الأطفال والشباب، الكبار وأولياء الأمور، الرجال والنساء، المواطنون والجاليات. يجب أن يصل الخير إلى الجميع، وأن تصل الثقافة الإسلامية والتعليم الإسلامي إلى الكل. ولكي يستفيد الجميع من هذه التربية، يجب مراعاة اختلاف الناس وتنوعهم، من حيث فارق السن، واختلاف المستوى الثقافي.

وهذا يستدعي التنوع في وجوه النشاط التربوي: دروس المساجد، ندوات ومحاضرات، أنشطة شبابية، فعاليات نسائية، برامج متنوعة، إلخ.

وقد عرّف المختصون مفهوم التربية الإسلامية "بأنها إعداد وتجهيز الفرد المسلم بشكل كامل وشامل لجميع النواحي ولجميع المراحل العمرية، وذلك من خلال القيم والمبادئ والأساليب التي أظهرها دين الإسلام".

كما عُرّفت أيضاً بأنها "مجموعة نظم متكاملة تتضمن الحقائق والقيم والمهارات المتغيرة التي تخص الإنسان، حيث يتم تقديمها من خلال المؤسسات التربوية إلى المتعلمين الموجودين فيها..".

وينبغي للمنهج التربوي أن يكون شاملا بحيث يشمل: التربية العقدية، والفكرية، والإيمانية، والأخلاقية، والسلوكية، والوطنية، والرياضية، والصحية، بل وتشتمل التربية الإسلامية على اكتساب الذوق السليم، وحب خدمة المجتمع، والاهتمام الإيجابي بالشأن العام، لما فيه خير الدين والوطن والمجتمع.

محمود

رجب ١٤٤٤هـ

الفصل الأول

في الدعوة والتربية

أقوال في تعريف التربية

- **التربية** هي أن تضفي على الجسم والنّفس كل جمال وكمال ممكن لها.
- **التربية** هي التي تبني الخُلق على ما يليق بالمجتمع الفاضل، وتنمّي جميع الفضائل التي تصون من الرذائل، وتمكّن من مجاوزة الذات للتعاون مع الأقران على فعل الخير.
- **التربية** هي تنشئة الفرد قويّ البدن، حسن الخلق، صحيح التفكير، محبّاً للدين والوطن، معتزاً بهويته، مدركاً واجباته، مزوَّداً بالمعلومات اللازمة له في حياته.
- **التّربية** هي مساعدة الفرد على تحقيق ذاته حتى يبلغ أقصى كمالاته الماديّة والروحيّة في إطار المجتمع الذي يعيش فيه.
- **التربية** هي الأسلوب الأمثل في التعامل مع الفطرة البشرية، توجيها مباشرا بالكلمة وغير مباشر بالقدوة، وفق منهج مدروس ووسائل نافعة، لإحداث تغيير في الإنسان نحو الأحسن.
- **التربية** هي عمليّة التكيّف أو التفاعل بين الفرد وبيئته التي يعيش فيها.
- **التربية** هي عمليّة تضم الأفعال والتأثيرات التي تستهدف نموّ الفرد في جميع جوانب شخصيّته، وتسير به نحو كمال وظائفه عن طريق التكيّف مع ما يحيط به، ومن حيث ما تحتاجه هذه الوظائف من أنماط سلوك وقدرات.
- **التربية** هي العمل المنسَّق المقصود الهادف إلى نقل المعرفة، وخلق القابليات، وتكوين الإنسان المثالي، والسعي به في طريق الكمال الممكن من جميع النواحي وعلى مدى الحياة.
- **التربية** عملية تفاعل مستمر تتضمن مختلف أنواع النشاط المؤثر إيجابا في الفرد وتعمل على توجيهه في الحياة نحو الأفضل والأكمل.

ابن القيّم يحدثنا عن المعاصي والذنوب

للإمام ابن القيّم رحمه الله (ت ٧٥١هـ) كتاب قيّم في الزهد والرقائق، هو كتاب (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي)، نقتطف منه هذه السطور للعبرة والفائدة..

"مما ينبغي أن يُعلم: أن الذنوب والمعاصي تضرّ، ولابدّ أن ضررها في القلب كضرر السموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر. وهل في الدنيا والآخرة شرّ وداء إلاّ وسببه الذنوب والمعاصي؟".

"للمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة، المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلاّ الله. منها: حرمان العلم، فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور .. ومنها: وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله، ولو اجتمعت له لذّات الدنيا بأسرها لم تف بتلك الوحشة .. ومنها: ظلمة يجدها في قلبه، يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم، فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة الحسية لبصره، فإن الطاعة نور، والمعصية ظلمة".

"المعاصي تزرع أمثالها، ويولّد بعضها بعضا، قال بعض السلف: إن من عقوبة السيئة، السيئة بعدها".

"من عقوبات الذنوب: ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلب، وهو أصل كل خير، وذهابه ذهاب الخير بأجمعه".

"وكان من دعاء بعض السلف: اللهم أعزني بطاعتك، ولا تذلني بمعصيتك".

ويستشهد رحمه الله بهذه الأبيات:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا ... فَإِنَّ الذُّنُوبَ تُزِيلُ النِّعَمْ

وَحُطْهَا بِطَاعَةِ رَبِّ الْعِبَاد ... فَرَبُّ الْعِبَادِ سَرِيعُ النِّقَمْ

وَإِيَّاكَ وَالظُّلْمَ مَهْمَا اسْتَطَعْت ... فَظُلْمُ الْعِبَادِ شَدِيدُ الْوَخَمْ

وَسَافِرْ بِقَلْبِكَ بَيْنَ الْوَرَى ... لِتَبْصُرَ آثَارَ مَنْ قَدْ ظَلَمْ

الحياة منح ومحن

الحياة الدنيا فيها نِعَم ومنح وفرح وسرور، وفيها محن وأحزان ومكدرات ومنغصات.

يقول الشيخ محمد بن شاكر الشريف: "فإن الله تعالى الخلاق العليم الفعال لما يريد يقدر بعلمه ما يريد، ويمضيه بقوته تحقيقا لما أراده من الحكمة في ذلك، وما قدره الله وأمضاه منه ما تظهر وتعلم حكمته، ومنه ما لا تعلم حكمته، وما تعلم حكمته منه ما يعلم بعضه ويخفى بعضه الآخر، ومنه ما لا تتبين الحكمة منه إلا بعد آماد طوال. والمسلم الموقن بدينه الراضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا، يقبل ما قدره الله ويسلم بذلك تسليما على أي وضع ونحو جاءه".

من صور المنح: الأمن والاستقرار، والعيش الرغيد، والصحة والعافية.

ومن صور المحن: الفتن الهوجاء، والفقر والبؤس، والأمراض والأسقام.

والثبات أمام الفتن منحة، والصمود أمام المغريات نعمة، والالتزام بالنهج والمبدأ في اليوم العصيب رحمة.

يقول الإمام ابن حجر رحمه الله في (فتح الباري): "أصل الفتنة الاختبار، ثم استعملت فيما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه، ثم أطلقت على كل مكروه، أو آيل إليه كالكفر والإثم والفضيحة والفجور، وغير ذلك .. والفتنة نوعان، أحدهما: فتنة خاصة، تختص بالرجل في نفسه، والثاني: فتنة عامة، تعم الناس. فالفتنة الخاصة: ابتلاء الرجل في خاصة نفسه بأهله وماله وجاره ونحوها. وأما الفتن العامة فهي التي تموج موج البحر، وتضطرب، ويتبع بعضها بعضا".

فطوبى لمن مُنِحَ فشكر، ولمن امتُحن فصبر.. والعاقبة للمتقين، والويل كل الويل للظالمين.

الدعوة في قلبه وعقله ودمه

بعد القدوة العظمى، رسول الله ﷺ، ثم الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ثم التابعين لهم بإحسان، رحمهم الله، وإلى يومنا هذا، لا يزال حبل الدعوة والتربية قائما لا ينقطع، حتى يرث الله الأرض ومن عليها. ومن النماذج المعاصرة الناجحة في حقل الدعوة إلى الله تعالى الشيخ الدكتور عبدالرحمن السميط رحمه الله.

منذ سنة ١٩٨٣م، تفرغ الشيخ للعمل في (جمعية العون المباشر) كأمين عام، ثم رئيسا لمجلس الإدارة حتى العام ٢٠٠٨م، ثم عمل لاحقًا كمدير في (مركز أبحاث ودراسات العمل الخيري) في الكويت.

كما شارك في تأسيس ورئاسة (جمعية الأطباء المسلمين) في الولايات المتحدة وكندا سنة ١٩٧٦م، و(لجنة مسلمي ملاوي) في الكويت سنة ١٩٨٠م، و(اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة) سنة ١٩٨٧م، وكان عضوا مؤسسا لـ (الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية)، وعضوا مؤسسا لـ (المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة).

أسلم على يديه أكثر من (١١) مليون شخص في إفريقيا، بعد أن قضى أكثر من (٢٩) سنة ينشر الإسلام فيها، أي ما يقرب من حوالي (٩٧٢) مسلمًا يوميًّا.

نال عددًا من الأوسمة والجوائز والدروع والشهادات التقديرية مكافأة له على جهوده في الأعمال الخيرية، ومن أرفع هذه الجوائز، (جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام)، والتي تبرع بمكافأتها، وهي (٧٥٠) ألف ريال سعودي، لتكون نواة للوقف التعليمي لأبناء أفريقيا، ومن عائد هذا الوقف تلقت أعدادٌ كبيرة من أبناء أفريقيا تعليمها في الجامعات المختلفة.

استمر يعمل في الدعوة، حتى بعد أن كبر في السن، وثقلت حركته، وبالرغم من إصابته بالسكر وبآلام في قدمه وظهره، حتى توفي يوم الخميس ١٥ أغسطس ٢٠١٣م. رحم الله الداعية القدوة والمربي الناجح الدكتور عبدالرحمن السميط.

الرجل المناسب في المكان المناسب

عن أبي ذرٍ رضي الله عنه قال: **قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَىَ مَنْكِبِي، ثُمّ قَالَ: "يَا أَبَا ذَرَ إِنّكَ ضَعِيفٌ وَإِنّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلاّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقّهَا وَأَدّى الّذِي عَلَيْهِ فِيهَا"**. رواه مسلم وأحمد.

وفي رواية لمسلم: **"يا أبا ذر، إني أراكَ ضعيفا. وإنّي أحبّ لكَ ما أحِبّ لنفسي. لا تأمَرَنّ على اثنينِ. ولا تَولينّ مالَ يتيمٍ".**

معنى الضعف الوارد في الحديث هو العجز عن القيام بوظائف الولاية. قال النووي رحمه الله: "هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات، لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية".

كان رسول الله ﷺ خبيرا بقدرات أصحابه رضوان الله عليهم، وكان يكلفهم بناء على قدراتهم ومميزاتهم. فقد ولّى عمرو بن العاص وخالد بن الوليد رضي الله عنهما، مع تأخر إسلامهما، ورفض تولية أبي ذر رضي الله عنه مع أنه من السابقين، والذي كان حريصا على الفوز بالأجر وخدمة المسلمين من خلال طلبه هذا من الرسول عليه الصلاة والسلام، ولكن أبي ذر، مع سابقته وفضله وزهده لا يصلح للإمارة، والرسول لا يحابي في دين الله أحدا.

يجب على المربي القدير والإداري الناجح أن يحسن اختيار الأشخاص المناسبين للمهام والوظائف المختلفة، كل حسب إمكانياته وما يتميز به عن أقرانه. وقد يكون الرجل حسن السيرة، معروفاً بين الناس بأخلاقه وفضائله، لكنه يصلح لأمور ولا يصلح لأخرى.

السمت

السَّمْتُ: الطّريقُ الواضحُ .. السكينةُ والوقارُ .. الهيئة. وحَسُنَ سَمْتُهُ: أيْ هَيْئَتُهُ ووَقَارُهُ.

قال رسول الله ﷺ: **"السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءًا من النبوة"**. أخرجه الترمذي وقال: حسن غريب، وصححه الألباني.

فإذا قلنا أن أهل الخير لهم سمتهم، فنعني بذلك شخصيتهم الخاصة، فيتميزون عن غيرهم مظهرا ومخبرا، ويكون ذلك سببا في تقبل المدعوين لهم واقتدائهم بهم. وللداعية سمته الخاص إذا تكلم، أو حاور، أو داعب، أو أكل أو شرب. وحُسن السمت يُكسب المرء الهيبة والوقار، ودليل كمال الإيمان ورجاحة العقل.

عرّف بعض الأفاضل السمت الحسن بأنه **"حسن المظهر الخارجيّ للإنسان من طريقة الحديث والصّمت، والحركة والسّكون، والدّخول والخروج، والسّيرة العمليّة في النّاس، بحيث يستطيع من يراه أو يسمعه أن ينسبه لأهل الخير والصّلاح والدّيانة والفلاح"**.

ويُنسب إلى الحافظ ابن حجر رحمه الله قوله عن السمت الحسن: **"تَحَرِّي طُرُقِ الْخَيْرِ وَالتَّزَيِيّ بِزِيِّ الصَّالِحِينَ مَعَ التَّنَزُّهِ عَنْ الْمَعَائِبِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ"**.

وعلى الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى ألا ينجروا إلى هَوَس تقليد الموظات في لباسهم ومظهرهم، فإن ذلك من مظاهر الهزيمة النفسية أمام كل شاردة وواردة.

ويدخل في السمت الإسلامي للدعاة: المحافظة على جوهر ومظهر الأعمال والأنشطة الإسلامية، وحمايتها من أسباب الميوعة فكرا ومظهرا. ومثال ذلك: المحافظة على السمت الإسلامي للأناشيد الهادفة والممتعة، وعدم تحولها إلى أغانٍ صاخبة، تفقدها قيمتها الدعوية.

العتاب على قدر الخطأ

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: **كان بيني وبين رجل كلام، وكانت أمه أعجمية فنلت منها، فذكرني إلى النبي ﷺ، فقال لي: "أسابيت فلاناً؟"، قلت: نعم، قال: "أفنلت من أمه؟"، قلت: نعم، قال: "إنك امرؤ فيك جاهلية"، قلت: على حين ساعتي هذه من كبر السن؟ قال: "نعم، هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن جعل الله أخاه تحت يده فليُطعمه مما يأكل، وليُلبسه مما يلبس، ولا يكلّفه من العمل ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليُعِنْه عليه".** (متفق عليه واللفظ للبخاري).

قول الرسول ﷺ لصاحبه رضي الله عنه: "فيك جاهلية"، أي: فيك صفة من صفات الجاهلية.

هل كان الرسول عليه الصلاة والسلام قاسيا على صاحبه؟! معاذ الله، فهو سيد المربين، وهو الرحيم العطوف مع الناس. قال تعال: **"فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ".**

كان عليه السلام حريصا على النصح والإرشاد، مع الحرص كذلك على تأليف القلوب، فكثيرا ما كان يوصل الرسالة المطلوبة دون ذكر أسماء من أخطأ، حرصا منه على عدم إحراجهم: **"ما بالُ أقوامٍ، يَرفعونَ أبصارهمْ إلى السماءِ في صلاتهمْ"** (البخاري) .. **"ما بالُ أناسٍ يشترطونَ شروطًا ليست في كتابِ اللَّهِ"** (البخاري، أبو داود). فلماذا عاتب أبا ذر رضي الله عنه بهذه الطريقة؟ لأن هذا الصحابي الجليل من الرعيل الأول، من خريجي مدرسة (دار الأرقم)، من الذين تلقوا الإيمان والعلم والتربية من سيد المرسلين في أكثر الأوقات صعوبة وضيقا على الدعوة الإسلامية، فمثل أبي ذر ما كان ينبغي أن يصدر منه مثل هذا الخطأ.

كان درسا تربويا عظيما لأبي ذر، وما عاد لمثله أبدا، بل هو الذي روى هذه الحادثة لكي يستفيد غيره. يا لها من عظمة. درس عظيم للمربين والمتربين: العتاب يكون على قدر الخطأ، وحسب نوعية المخطأ.

ما أكثر الكنوز في السيرة والتاريخ.

الفاعلية

للفاعلية عدة تعريفات منها: "القدرة على أداء الأعمال الصحيحة"، أو: "القدرة على الإنتاج بأفضل السبل وأيسرها"، أو: "حيث تكون الإيجابيات أكثر ما يمكن، وتكون السلبيات أقل ما يمكن"، أو: "الإنتاج الجيد والاستمرار في هذا الإنتاج".

أما (المنظمة العربية للعلوم الإدارية) فقد عرّفت الفاعلية بأنها: "مدى صلاحية العناصر المستخدمة (المدخلات) للحصول على النتائج المطلوبة (المخرجات)".

والإنسان الفاعل هو الذي يستفيد قدر الإمكان من كل ما حوله ومَنْ حوله، ويستفيد قدر طاقته من ظروف الزمان والمكان.

ولا شك أن أكثر الناس فاعلية في تاريخ البشرية هم أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام.

للدكتور محمد العَبدَة رسالة مختصرة بعنوان (الفاعلية وعوامل تنميتها)، نقتطف منها السطور التالية:

"الفاعلية هي أن نوازن بين ما نريد على المدى القريب مع ما نريده على المدى البعيد"..

"الإنسان الفعال هو الذي يجعل من الزمن لحظات حية مفيدة، ولذلك يُسأل الإنسان يوم القيامة عن عمره فيما أفناه"..

"إن قيمة الفاعلية لا تعتمد على ما نبذله من جهد بقدر ما تعتمد على ما إذا كان هذا الجهد في المكان المناسب"..

"لا يُعتبر فعالا (بالضرورة) من يجد نفسه في شغل دائم، فقد يكون مشغولا بأمور ثانوية وأمور صغيرة، ويكون قد ترك أمورا مهمة. فالقاعدة التي تقول (أنا مشغول إذن أنا فعّال) غير صحيحة دائما".

اللحظات الأخيرة

إنها اللحظات الأخيرة في الحياة الدنيا.. لحظات هي بالنسبة للمؤمن الصادق مجال لرفع الدرجات، وتكميل الفضائل. الإنسان المؤمن الذي عاش عظيما، تتجلى بعض مظاهر عظمته حتى وهو في النزع الأخير: يلهج بـ (لا إله إلا الله)، ويكون ثابت القلب.

عندما طُعن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، دخل عليه شاب من الأنصار فقال: **"أَبْشِرْ يا أميرَ المؤمنين ببشرى اللهِ، كان لك من القِدَمِ في الإسلامِ ما قد عَلِمْتَ، ثم اسْتُخْلِفْتَ فعدَلْتَ، ثم الشهادةَ بعد هذا كلِّه. فقال: ليتني يا ابنَ أخي وذلك كَفَافًا ، لا عليَّ ولا لي"**. (صحيح البخاري).

ولما مرض الحسن البصري رحمه الله مرض الموت **"دخَلَ عَلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، زَوِّدْنَا مِنْكَ كَلِمَاتٍ تَنْفَعُنَا بِهِنَّ، قَالَ: إِنِّي مُزَوِّدُكُمْ ثَلاثَ كَلِمَاتٍ ثُمَّ قُومُوا عَنِّي وَدَعُونِي وَلِمَا تَوَجَّهْتُ لَهُ، مَا نُهِيتُمْ عَنْهُ مِنْ أَمَرٍ فَكُونُوا مِنْ أَتْرَكِ النَّاسِ لَهُ، وَمَا أُمِرْتُمْ بِهِ مِنْ مَعْرُوفٍ فَكُونُوا مِنْ أَعْمَلِ النَّاسِ بِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خُطَاكُمْ خَطْوَتَانِ خَطْوَةٌ لَكُمْ وَخَطْوَةٌ عَلَيْكُمْ فَانْظُرُوا أَيْنَ تَغْدُونَ وَأَيْنَ تَرُوحُونَ"**. (أبو نعيم في حلية الأولياء وفي سنده انقطاع).

ولما اشتد المرض بهارون الرشيد رحمه الله وأحس بدنو أجله، قال لمن حوله: **"إن كل مخلوق ميت، وكل جديد بالٍ، وقد نزل بي ما ترون، وأنا أوصيكم بثلاث: الحفظ لأمانتكم، والنصيحة لأئمتكم، واجتماع كلمتكم"**.. ثم دعا فقال: **"اللهم انفعنا بالإحسان، واغفر لنا الإساءة، يا مَن لا يموت ارحم مَن يموت"**.

كل امرئ مرهون بعمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

إنها فعلا لحظات حاسمة للإنسان: لحظات الإدبار عن تاريخه القصير (الدنيا)، والإقبال على تاريخه القادم الدائم (الآخرة).

{تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}.

بالمؤمنين رءوف رحيم

قال تعالى: **{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}** (التوبة ١٢٨).

امتنّ الله تعالى على المؤمنين بما أرسل إليهم من رسول كريم، هو سيد البشرية ﷺ، والذي من أخص صفاته أنه رءوف رحيم بالمؤمنين.

قال تعالى: {**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ**} (الحجر ٨٨). وخفض الجناح: أي التواضع واللين.

ومن مظاهر الرحمة بالمؤمنين، ما أشار إليه ربنا تبارك وتعالى في صفة رسوله عليه الصلاة والسلام: **{وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}** (آل عمران ١٥٩).

فالرسول الكريم أُمِر بالرحمة والعفو عن المؤمنين، والاستغفار لهم، ومشاورتهم.

ومن مظاهر رحمته عليه الصلاة والسلام لأتباعه المؤمنين إرشادهم وإسداء النصيحة لهم:

ومن توجيهاته المباركة لأمته:

"تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد" (صحيح مسلم).

"لا تحقرنّ من المعروف شيئا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق" (مسلم والترمذي).

"إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف، فإن فيهم الضعيف والسقيم والمريض وذا الحاجة، وإذا صلى لنفسه فليطل ما شاء" (رواه الستة).

" حقُّ المسلمِ على المسلمِ ستٌّ. قيل: ما هنَّ يا رسولَ اللهِ؟ قال : إذا لقيته فسلِّمْ عليه. وإذا دعاك فأَجِبْه، وإذا استنصحَك فانصحْ له، وإذا عطِس فحمِدَ اللهَ فشَمِّتْهُ، وإذا مرِضَ فعُدْهُ، وإذا مات فاتَّبِعْهُ" (البخاري ومسلم).

هذا هو من أرسله الله تبارك وتعالى رحمة للعالمين، ومعلما للبشرية كافة. هذا هو الرحمة المهداة، والنعمة المسداة. فطوبى لمن اقتدى به واهتدى بهداه.

تنبيهات على طريق الدعوة

١) يلزم تحري القصد حين دعوة الغير، فيقصد الداعية بدعوته وجه الله تعالى. يقول القاضي أبو يوسف رحمه الله: **"أَريدوا بعلمكم الله، فإني لم أجلس مجلسا قط أنوي فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم، ولم أجلس مجلسا قط أنوي فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى أفتضح".**

٢) لا يستنكف الداعية من التعلم ممن هو دونه في سن أو نسب أو شهرة أو علم، ولا يستحي عن السؤال عما لم يعلم، ولا يتعاظم على المتعلمين.

٣) يجب أن يتخلق الداعية بالمحاسن والأخلاق الحميدة، ويتحلى بالصبر وطلاقة الوجه، والورع، واجتناب كثرة الضحك والمبالغة في المزاح.

٤) يجب احترام من له سبق في الدعوة إلى الله، وأن ننزل الناس منازلهم، مع الأخذ في الاعتبار أن العبرة لمن ثبت على طريق الدعوة.

٥) لا بد من الانتباه إلى أن وسائل الدعوة وطرقها وأساليبها ليست دينا لا يتغير ولا يتبدل، بل يجب أن تتطور طبقا لظروف المكان والزمان.

٦) ضرورة اتهام الداعية لنفسه بالتقصير عن إدراك الصورة المثلى، والعمل الدؤوب من أجل الارتقاء بالنفس نحو الأمثل والأفضل.

٧) على الداعية أن يفهم جيدا أن الإسلام ليس حكرا عليه وعلى جمعيته، بل ينظر إلى المسلمين جميعا على أنهم إخوة له، يحترم كبيرهم، ويرحم صغيرهم، ويتودد إلى علمائهم.

٨) يجب ألا يتعامل الدعاة مع طبقة أو فئة معينة من الناس ويهملوا دعوة الباقين، فيتعاملوا مع المثقفين مثلا ويهملوا البسطاء، أو مع الكبار ويهملوا الصغار.

٩) كرر الدعوة مرات ومرات، فأنت لا تعرف متى تفتح القلوب.

١٠) لا تخشى على الدعوة فالله حافظها، ولكن اخشَ على نفسك من أن تتعب أو تيأس.

١١) التناصح بين الدعاة ضرورة، فالمؤمن مرآة أخيه.

١٢) كن متواضعا، ولكن لا تحقّر نفسك أو تصغّر من شأنك بلا داع.

١٣) كلما بعُد الطريق، وزاد الحمل، زادت حاجتك إلى الزاد، فتزوّد، وخير الزاد التقوى.

١٤) تذكر دائما أن القدوة قبل الدعوة، فلا قيمة لدعوة غيرك إلى التقشف وأنت مترف، ولا معنى لدعوة غيرك إلى فضائل الأخلاق وأنت غضوب جهول. واحذر مقت الله عز وجل. يقول تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}**. (الصف ٣/٢).

يقول الشاعر:

يا أيها الرجل الْمُعَلِّمُ غَيْرَهُ *** هَلَّا لِنَفْسِك كَانَ ذَا التَّعْلِيمُ

تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السِّقَامِ وَذِي الضَّنَى *** كَيْمَا يَصِحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمُ

ابْدَأْ بِنَفْسِك فَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا *** فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ

فَهُنَاكَ تُعْذَرُ إنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى *** بِالْقَوْلِ مِنْك وَيحصل التسليمُ

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ *** عَارٌ عَلَيْك إذَا فَعَلْت عَظِيمُ

عن التوريث الدعوي

نقصد بالتوريث الدعوي: "الانتقال الممنهج للخبرة الدعوية بتنوعاتها، من الجيل السابق للجيل اللاحق، أو من المربي إلى المتربي، بحيث نضمن بقاء واستمرار العمل الدعوي".

والمسألة شبيهة بالتوريث العلمي، من حيث وجود ثلاثة عناصر، بها تتحقق عملية التوريث:

١ ـالمورّث: أي الجيل السابق، أو الأقدم، أو المربي.
٢ ـوالوارث: أي الجيل اللاحق، أو الأصغر، أو المتربي.
٣ ـومادة التوريث: أي ما يتم نقله بين الطرفين من علم أو خبرة أو منهج.

والتوريث أصل مكين في ديننا الحنيف. روى أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان وغيرهم رحمهم الله أن النبي ﷺ قال في ضمن حديث طويل: **"إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، إنَّما ورَّثوا العلم، فمن أخذَه أخذ بحظٍّ وافر".**

والتوريث الدعوي جزء لا يتجزأ من العمل التربوي المؤسسي الهادف، فلا يُتصور تربية بلا توريث.

وطرق التوريث متعددة، منها: التعليم المباشر، التعليم بالقدوة، التثقيف، التربية الميدانية، قراءة السير الذاتية لكبار الدعاة والمربين، تكليف المتربين بشتى أنواع المهام الدعوية مع المتابعة بهدف الصقل والتعلم، اللقاءات الثقافية والتربوية المتكررة للدعاة والمربين مع طلبتهم، لقاءات الأجيال .. إلخ.

هل هناك (توريث دعوي) في جمعيتنا (جمعية الإصلاح)؟!

الجواب: نعم، وإلا لانقطع وجود الجمعية ونشاطها منذ عقود. رُوي عن الإمام الشافعي رحمه الله قوله: **"الليث بن سعد أفقه من مالك، إلا أنه ضيعه أصحابه"**، بمعنى: أن أصحاب وتلاميذ الليث لم ينشروا علمه وفقهه كما فعل أصحاب وتلاميذ مالك، رحم الله الجميع.

ولكن المسألة تحتاج إلى مزيد من العناية والتركيز، خاصة أن بعض المربين قد يغيب عن بالهم أهمية التوريث الدعوي وضرورته، وبعض المتربين قد يستعجل (الإرث) قبل أن يكتمل نضجه عقلا وعلما وسلوكا.

لا تكسر ظهر أخيك

جمعية الإصلاح معلم بارز من معالم مملكة البحرين، ومفخرة من مفاخر المجتمع البحريني الطيب. تبوأت الجمعية هذه المكانة بفضل الله تعالى أولا، ثم بجهود أعضائها من الشيوخ والشباب على مدى عشرات السنين. هؤلاء الأعضاء الذين يصلون الليل بالنهار في خدمة الدين الحنيف والوطن الغالي، ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى.

ولكن هناك ظاهرة سلبية آخذة في الازدياد يوما بعد يوم. فبعض أبناء هذه الجمعية المباركة، من الكبار والشباب، أصبح (عاطلا عن العمل).. عطّل نفسه بنفسه، واكتفى بالمشاهدة عن بعد، مشاهدة إخوانه وهم يعملون وينتجون ويخدمون، يضحون بأوقاتهم وطاقاتهم وهو لا يساهم معهم في حمل هذه الأمانة الثقيلة.

يقول تعالى: **"إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا".**

وعن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ: **"المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا"**، متفق عليه.

إن من أهم متطلبات العمل الدعوي التطوعي بعد الإخلاص لله تعالى: الصبر وطول البال، والتعاون والتكاتف، والإحساس بالمسئولية، والشعور الدائم بالتقصير، والهمة العالية. هكذا استطاع الجيل المؤسس أن يضع اللبنات الأولى والأساس الصلب لجمعيتنا الحبيبة.

هناك مقولة مشهورة في عالم الدعاة والمصلحين تقول: **"لا تسأل الله أن يخفف حِملك، ولكن اسأله أن يقَوّي ظهرك"**. وذلك أن الحِمل ثقيل أصلا، والأمانة عظيمة، فاسأل المولى أن يقوي ظهرك لتتمكن من حمل هذا الثقل، ولكن.. للطاقات حدود. لا تترك أخيك في الميدان لتزداد عليه الأعمال وأنت بلا عمل.. لا تكسر ظهر أخيك.

لسان أم ثعبان؟!

قال تعالى في محكم كتابه: **{وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا}.** (الإسراء ٥٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: "**إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب" **متفق عليه.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: **"والذي لا إله غيره، ما على ظهر الأرض من شيء أحوج إلى طول سجن من لسان"**. رواه الطبراني موقوفا بإسناد صحيح.

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: "**المسلمُ من سلِم المسلمون من لسانِه ويدِه".** رواه البخاري.

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: "نعمة البيان من أجل النعم التي أسبغها الله على الإنسان، وكرمه بها على سائر الخلق: **{الرحمن علم القرءان خلق الإنسان، علّمه البيان}.** وعلى قدر جلال النعمة يعظّم حقها، ويُستوجب شكرها ويُستنكر كنودها".

وقد قيل: "من كثر لَغَطه كثر غَلَطه".

ومن شعر الإمام الشافعي رحمه الله:

أحفظ لسانكَ أيُّها الإنسانُ ... لا يلدغنَّكَ إنهُ ثعبانُ
كم في المقابرِ من قتيلِ لسانهِ ... كانت تهابُ لقاءهُ الأقرانُ

على الإنسان المسلم، خاصة الداعية إلى الله عز وجل، أن يُحسن التحكم في لسانه، ويكون هو قائد لسانه، وليس لسانه قائده! وأن يكون متكلما جيدا، ومستمعا جيدا، ولا يقاطع الآخرين، بل ينتظر دوره ليتكلم، ولا يرفع صوته أثناء الحديث والنقاش إلا بقدر الحاجة، ويتجنب المخالفات الشرعية في حديثه، كالكذب والسخرية والغيبة والنميمة.

نعْم المربي

أبو الدرداء، عويمر بن مالك الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه، مربّ من الجيل الأول، جيل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وهم الذين تلقوا أصول الدعوة وفنون التربية مباشرة من سيد المربين وإمام الدعاة ﷺ.

مر هذا الصحابي الجليل على جماعة قد تجمهروا على رجل، وجعلوا يضربونه ويشتمونه، فأقبل عليهم، وقال: "ما الخبر؟" قالوا: "رجل وقع في ذنب كبير". قال: "أرأيتم لو وقع في بئر أفلم تكونوا تستخرجونه منه؟"، قالوا: "بلى". قال: "إذاً لا تسبوه ولا تضربوه، وإنما عِظُوه وبصِّروه، واحمدوا الله الذي عافاكم من الوقوع في هذا الذنب". قالوا: "أفلا تبغضه؟" قال: "لا، إنما أبغض فعله، فإذا تركه فهو أخي". فأخذ الرجل ينتحب ويعلن توبته.

هكذا يكون الداعية والمربي: جاذب لا طارد، رحيم لا منتقم، حكيم لا منفلت اليد واللسان.

وقد كان هذا ديدن أبي الدرداء مع الناس خارج بيته، ومع أهله داخل بيته. يقول لزوجته: "إِذَا غَضِبْتُ فَرَضِّينِي، وَإِذَا غَضِبْتِ رَضَّيْتُكِ، فَمَتَى مَا لَمْ نَكُنْ هَكَذَا فَمَا أَسْرَعَ مَا نَفْتَرِقُ".

قال الذهبي رحمه الله في (سير أعلام النبلاء): روي عن أبي الدرداء قال: "لولا ثلاث ما أحببت البقاء: ساعة ظمأ الهواجر، والسجود في الليل، ومجالسة أقوام ينتقون جيد الكلام كما يُنتقى أطايب الثمر".

رحل رضي الله عنه إلى الشام بعد فتحها ليُعلّم الناس القرآن، وليُفقّههم في دينهم، وولاّه معاوية رضي الله عنه قضاء دمشق، وظل بها إلى أن توفي عام ٣٢هـ في خلافة عثمان رضي الله عنه.

مهارات مطلوبة للمربي الناجح

للأستاذ معاوية العايش مقال تربوي طويل، يقدم فيه نصائح ذهبية للعاملين في المجال التربوي، نقتطف منه ما يلي (بتصرف):

١) البوابة الأولى والأخيرة في التأثير بالمتربي هي الإخلاص.

٢) القدرة على التوظيف من أعظم دعائم المربي المؤثر، بأن يوظف الجاد وغير الجاد لخدمة الناس ودعوتهم.

٣) السمت والسلوك الجذاب من وسائل التأثير بالتربية.

٤) المعلم إذا أدّى ما عليه من واجبات والتزامات، فإن المتعلم يتفاعل تلقائيا.

٥) لابد من المعايشة مع المتربي فهي تكشف شخصية المتربي وقدراته.

٦) لابد أن يكون هناك استمرارية في تقديم المربي ما ينفع للمتربي، فمتى ما شعر المتربي أنه لا يستفيد من معلمه فإن هذا من أكبر العوائق التربوية.

٧) التربية بالقدوة تفوق جميع أنواع التربية. قال ابن الجوزي رحمه الله في سياق حديثه عن (التربية بالقدوة): "لقيت مشايخ أحوالهم مختلفة وكان أنفعهم لي في صحبته: "العامل منهم بعلمه وإن كان غيره أعلم منه". ثم قال بعد ذكره لبعض من تأثر بهم: "ففهمت من هذه الحالة: أن الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول". التربية بالقدوة تنشئ جيلا عظيما.

٨) ينبغي للمربي أن يبتعد عن سفاسف الأمور، والجدال والمراء، فإنها من المنفّرات.

٩) الجود والكرم له علاقة كبيرة في تفاعل المتربين مع المربي.

١٠) المربي المتفرس الذي يكتشف قدرات المتربين ثم يوجهها ويستغلها يكون أمكن من غيره.

١١) يجب على المربي كما أنه يربي الطالب على الانضباط والتعاون، عليه أن يغرس فيه الثقة في النفس والرأي الشخصي واستقلال الشخصية و نحو ذالك.

١٢) المربي الناجح يضع نصب عينيه حديث النبي ﷺ: "إن كان في الساقة كان في الساقة" (رواه البخاري). فلا يضعف إن دنى منصبه، ولا يغتر بعلو منصبه، فهو تكليف مسئول عليه.

هكذا تكون المنافسة

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: **"أمرَنا رسولُ اللهِ ﷺ يومًا أن نتصدقَ فوافق ذلك مالًا عندي، فقلتُ اليومَ أسبقُ أبا بكرٍ إن سبقتُه يومًا، فجئتُ بنصفِ مالي، فقال رسولُ الله ﷺ: ما أبقيتَ لأهلك؟ قلتُ: مثلَه. وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكلِّ ما عندَه، فقال له رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم: ما أبقيتَ لأهلِكِ؟ قال: أبقيتُ لهم اللهَ ورسولَه. قلتُ: لا أسابِقُكَ إلى شيءٍ أبدًا"**. رواه أبو داود، والترمذي وقال حسن صحيح.

هذه القصة وقعت قبيل غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة، وقد أعلن الرسول ﷺ النفير العام، والدعوة إلى تجهيز الجيش المسلم للتصدي لعدوان الروم في الشمال، وقد كان الوقت وقت شدة وضيق، حتى سميت الغزوة بغزوة العسرة.

ونستفيد من هذا الحديث الشريف ما يلي:

- مكانة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فهو شيخ الصحابة وأفضلهم.
- حرص عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسارعة إلى الخيرات والتسابق إلى الصدقة والجهاد بالمال.
- طاعة الرسول ﷺ.
- تضامن وتكاتف المجتمع المسلم.
- علو الهمة والاستعداد النفسي والبدني لخدمة الدين الحنيف.
- الثقة بالله سبحانه وتعالى.
- الإيجابية والنفس السوية.
- والمكانة العظيمة للصحابة رضي الله عنهم.

وقد كان الجيل الأول الفريد قد تلقى التربية النبوية بكل إخلاص وهمة ورغبة صادقة في نيل رضا الله سبحانه وتعالى. واستحق هذا الجيل بكل جدارة أن يعي ثم يطبق التوجيه الرباني العظيم: **{سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ}.**

هكذا كانوا في طلب العلم

بلغ من حرص **الإمام مالك** رحمه الله (ت ١٧٩هـ) على الانتفاع بعلم أستاذه ابن هرمز (أبو بكر عبد الله بن يزيد بن هرمز الأصم المعروف بـ ابن هرمز، ت ١٤٨هـ) أن يطيل الوقوف ببابه، وقد اتخذ تُبّانا محشوا للجلوس على بابه، ويحس ابن هرمز أن أحدا بالباب، ربما لحركة يقوم بها مالك، فيسمعها مِن داخل الدار، فيقول لجاريته: من بالباب؟ فتتجه إلى الباب لترى مَنْ هناك، ثم ترجع فتقول لسيدها: ما ثَمّ إلا ذاك الأشقر. فيقول لها: ادعيه، فذلك عالِم الناس. فكان يأتي ابن هرمز من بكرة، فما يخرج من بيته حتى الليل.

وأما **الإمام أحمد بن حنبل** رحمه الله (ت ٢٤١هـ) فقد انشغل بطلب الحديث حتى آخر حياته. وقد رُئي على كبر سنه وفي يده دواة وكاغد يكتب به، وهو يركض بين الشيوخ، فقال له قائل: يا أبا عبد الله، أنت قد بلغت هذا المبلغ، وأنت إمام المسلمين؟ فقال: "مع المَحبرة إلى المقبرة".

ويحدثنا ابن أبي حاتم رحمه الله عن شيخه **الإمام البخاري** رحمه الله (ت ٢٥٦هـ): "كنت معه في سفر، وكان يجمعنا سقف واحد، فكان يضطجع على فراشه لينام، فتمر بخاطره الفائدة فيقوم من فراشه ويأخذ القداحة، ويوقد السراج ويخرج أحاديثه فيعلّم عليها، ثم يطفئ السراج ويضطجع لينام، فتمر به الفائدة فيقوم، هكذا دأبه، يصنع ذلك في الليلة الواحدة من خمس عشرة إلى عشرين مرة".

ويقول أبو إسحاق المرادي رحمه الله: "جاورت **الحافظ المنذري** رحمه الله (ت ٦٥٦هـ) ثنتي عشرة سنة، فلم أستيقظ في ليلةٍ من الليالي في ساعة من ساعات الليل، إلا وجدت ضوء المصباح في بيته، وهو مشتغل بالعلم، حتى كان في حال الأكل والكتب عنده يشتغل فيها".

ويقول **الإمام الشافعي** رحمه الله (ت ٢٠٤هـ):

ومن لم يذق مُر العَلُّمِ ساعةً ... تجرع ذُل الجهلِ طُول حياتِهِ

ومن فاتهُ التعلِيمُ وقت شبابهِ ... فكَبِّر عليه أربعاً لِوفاتِهِ

وذاتُ الفتى والله بالعِلمِ والتُّقى ... إذا لم يكونا لا اعتِبارَ لِذاتِهِ

هكذا يكون ردّ الجميل

جاء في كتب السيرة أن الأنصار رضي الله عنهم تطلعوا إلى استضافة الرسول ﷺ حين وصوله المدينة، فكلما مر بأحدهم دعاه للنزول عنده، فكان عليه الصلاة والسلام يقول لهم: **"دعوا الناقة فإنها مأمورة"**، فبركت على باب أبي أيوب الأنصاري (خالد بن زيد بن كليب) رضي الله عنه، وكان داره طابقين.

قال أبو أيوب الأنصاري: "لما نزل عليّ رسول الله ﷺ في بيتي نزل في السّفل وأنا وأم أيوب في العلو، فقلت له: "يا نبي الله - بأبي أنت وأمي - إني لأكره وأُعظم أن أكون فوقك، وتكون تحتي، فاظهر أنت في العلو، وننزل نحن فنكون في السفل". فقال: **"يا أبا أيوب: إن أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في سفل البيت"**. قال: "فلقد انكسر حِبّ لنا فيه ماء, فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا مالنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفاً أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيء يؤذيه".

وكان مقامه ﷺ بدار أبي أيوب سبعة أشهر، كان الصحابي الجليل خلالها حريصا كل الحرص على خدمة الرسول الكريم، وكان سعيدا غاية السعادة أن شرّفه الله عز وجل بهذه الضيافة.

مرت سنوات مباركات.. وفي خلافة علي رضي الله عنه، وصل أبو أيوب إلى البصرة، وواليها يومئذ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ابن عم رسول الله عليه الصلاة والسلام، فماذا جرى بينهما؟

قال الإمام الذهبي رحمه الله في (سير أعلام النبلاء): عن حبيب بن ثابت: أن أبا أيوب قَدِم على ابن عباس البصرة، ففرّغ له بيته، وقال: **"لأصنعنّ بك كما صنعت برسول الله ﷺ"**. ثم سأله: "كم عليك"، قال: "عشرون ألفا"، فأعطاه أربعين ألفا، وعشرين مملوكا، ومتاع البيت.

كان ذلك –فقط- جزاءً إنسانيا، أخويا، دنيويا.. فكيف هو –إذن- الجزاء الرباني الأخروي!

رضي الله عن صحابة نبينا ﷺ. منهم نتعلم خُلُق الوفاء، ورد الجميل، وحفظ المعروف، وكل خُلُق كريم، وسلوك قويم.

الثبات على المبادئ في خضم الفتن

هناك ضرورات يجب أن يتحلى بها الإنسان المسلم الملتزم بمبادئ دينه الحنيف في زمن الفتن، منها أن يكون إيمانه راسخا بأن المستقبل لهذا الدين، وأن يلجأ إلى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، يستمد منهما طرق وقاية النفس وانقشاع الحيرة في زمن الاضطرابات والفتن. يقول تعالى: **"فَفِرُّوا إِلَى الله إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ"** (الذاريات ٥٠)، أي: فاهربوا أيها الناس من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به، واتباع أمره، والعمل بطاعته.

وعَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ"**. رواه البخاري ومسلم.

ومن صفات عباد الله المؤمنين أنهم يتوجهون إلى الله بالدعاء أن يثبتهم على طريق الهدى والحق: **"رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا"** (آل عمران ٨) .. **"رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا"**. (البقرة ٢٥٠).

الفتن تأتي وتذهب، والنصر والهزيمة في تداول وتعاقب، والعاقبة بالخاتمة: **"وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ"**. (آل عمران ١٤٦).

إذا رأيت غيرك يضعف ويسقط، فلا تسقط أنت ولا تضعف..

إذا المفكر الكبير تهاوى من قطار الدعوة فتشبث أنت بموقعك وعض عليه بالنواجذ..

إذا انحرف (الرمز) عن طريق الحق، واستسلم للإغراءات، فتذكر الآلاف المؤلفة من الأخيار الذين ثبتوا حتى الممات..

الفتن كثيرة ومتنوعة: المال والجاه والمنصب والاعتداد بالنفس والعُجب... إلخ.

ومداخل الفتن كثيرة كذلك، منها دعوى طلب المصلحة. وأكثر مجالات الوقوع في الفتن: مجال العمل السياسي، فهو مجال مليء بالأشواك، متخم بالمغريات، لا ينجو منه إلا التقي الورع، والسياسي البارع الذي يملأ الإيمان قلبه.

أوضاع هذا الزمان في غاية التعقيد، واختلاط الحابل بالنابل على أشده، وغبار الفتن يعمي أبصار الكثيرين، وقد يكون من بينهم من عُرف بالصلاح والخير، فيقعون في المحظور، من حيث يدرون أو لا يدرون، فدعهم وما هم فيه، ولا تقع في أعراضهم، وادع لهم بالهداية والبصيرة.

اثبت أنت على مبادئك، والزم غرزك، وثق بمنهجك، ولا تنشغل بالمتساقطين، بل ضاعف جهدك، وواصل عطائك، واصبر وصابر حتى تلقى ربك غير شاك في دعوتك، ولا مشوّش في ذهنك، **"وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ".** (الحجر ٩٩).

الفصل الثاني

في الفكر والثقافة

الحركة الإسلامية وحركة التاريخ

لحركة التاريخ سنن وقوانين، تسري على الجميع، والمجموعات البشرية، يرتبط وجودها واستمرارها بمدى توفر أسباب البقاء وعناصر القوة، والقابلية للتجديد، والقدرة على الاستجابة للتحديات.

كانت الدولة الأموية، وعلى مدى قرن من الزمان تقريبا، ظلا ظليلا للإسلام والمسلمين، فتحت الفتوح خارجيا، وحمت عقائد الإسلام داخليا من كيد الشعوبيين والزنادقة، ثم أصابها الضعف في أواخر أيامها، وسرت عليها قوانين التاريخ وسنن الكون، فسقطت عام ١٣٢هـ.

ثم قامت الدولة العباسية، واستمرت تقاوم من أجل البقاء لخمسة قرون، فلما شاخت، سقطت سقوطا مروعا عام ٦٥٦هـ.

وفي فترة الضعف العباسي، قامت بعض الدول والممالك ذات الطابع العسكري، مثل الدولة الغزنوية، والسلجوقية، والأيوبية، والمماليك، والأغالبة، والمرابطون. وقامت هذه الدول بواجبها في حماية بيضة الإسلام في وجه الصليبيين والمغول وغيرهم، ثم ضعفت شيئا فشيئا وسقطت تباعا.

ثم جاءت الدولة العثمانية، فكانت كالحصن الحصين للإسلام والمسلمين على مدى أكثر من ستة قرون، وابتداء من عام ١٥١٧م حملت راية الخلافة الإسلامية بكل عزم وحزم، ثم بدأت عوامل الضعف تسري في مفاصلها شيئا فشيئا، حتى تلاشت قابليتها للبقاء نتيجة لعوامل داخلية وخارجية، فسقطت عام ١٩٢٤م.

انتهى دور الدول بسقوط الخلافة، وبدأ دور الجماعات والحركات. قامت الحركة الإسلامية بواجبها تجاه المجتمعات الإسلامية بكل صدق وإخلاص، وحققت الكثير من الإنجازات والمكاسب، ونفع الله بها البلاد والعباد.. فهل ستسري عليها حركة التاريخ أم أنها استثناء؟!

الإسلام كدين هو الذي لا يزول، أما حَمَلة الإسلام فتسري عليهم –قطعا- حركة التاريخ وقوانينه. إذا لم تسارع الحركة الإسلامية إلى تدارك بعض وجوه الضعف والتراجع فسيصيبها ما أصاب مَن كان قبلها، ولا بأس بالمقارنة هنا بين الدول والممالك من جهة، والحركات والجماعات من جهة أخرى، فحركة التاريخ تنطبق على الكل.

إذا لم تطور الحركة الإسلامية من أدائها السياسي..

إذا لم تنمي قدراتها في التصدي لمحاولات الاستدراج من قبل الأعداء..

إذا لم تستطع أن تحدث هي الحدث، بدل أن يصنع العدو الحدث وتنساق هي إليه..

إذا لم تستطع أن تتعرف على جميع القوى المعادية للأمة بلا تمييز، سواء كانت صليبية أم صهيونية أم صفوية..

فعندها ستكون مؤهلة لانطباق حركة التاريخ عليها، ولسريان نواميس الكون عليها. قد تنتهي الحركات كما تنتهي الدول، وتظهر حركات جديدة كما تظهر دول جديدة.. حركات جديدة تتصف -قدر الإمكان- بكل إيجابيات مَن سبق، وتتجنب -قدر الإمكان- سلبيات مَن سبق.

إن رب العزة والجلال، الذي جعل الإسلام هو الدين الخاتم، جعل لهذا الدين من أسباب البقاء والقوة ما يؤهله للبقاء الأبدي، فطوبى لمن قدّم وبذل وأنتج وكافح ومهد السبيل لمن يليه.

الغرب ومهزلة مذابح الأرمن

أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م)، كانت الدولة العثمانية تخوض الحرب ضد الإنجليز والفرنسيين والروس على أربع جبهات، منها: الجبهة الشرقية، أو جبهة (الأناضول-القوقاز) ضد الروس، وكانت الحرب سجالا بين الطرفين ويتبادلان النصر والهزيمة، والتقدم والتراجع.

في عام ١٩١٥ قام الروس بهجوم كبير احتلوا خلاله مناطق ومدن في شرق الأناضول، وكان يرافق هذا الجيش الروسي عشرات الآلاف من المسلحين الأرمن، الذين يحملون أحقادا تنوء بحملها الجبال ضد المسلمين عامة، والأتراك خاصة، وهذه الأحقاد والضغائن هي مزيج من التعصب الديني الأرثوذكسي ضد المسلمين، والتعصب القومي الأرمني ضد العنصر التركي، منذ أيام السلاجقة!

ارتكبت المليشيات الأرمنية المتحالفة مع الروس مذابح مهولة ضد المسلمين من الأتراك والأكراد، ذهب ضحيتها مئات الآلاف من القتلى والجرحى والمهجّرين، وشاركهم في هذه المذابح، الأرمن الذين كانوا يُعدّون من رعايا الدولة العثمانية ويعيشون في ظلها، فخانوا الأمانة وطعنوا الدولة طعنات غادرة من الداخل!

بعد شهور، انقلبت الموازين وقام العثمانيون بهجوم مضاد استردوا من خلاله الأراضي المحتلة بعد تقهقر الروس، ووجد الأرمن أنفسهم أمام مصيبة كبرى، وجاء وقت الحساب! ولكن، وبالرغم من جرائم الأرمن، تصرفت الدولة العثمانية بطريقة حضارية يمليها الدين الإسلامي الحنيف، فقامت بتهجير الأرمن وتفريقهم على مناطق مختلفة من أراضي الدولة، حتى لا يشكلوا خنجرا في خاصرة الدولة مرة أخرى، كما قام الكثير من الأرمن بهجرات طوعية إلى الأراضي التي يسيطر عليها الروس، فيما تعرف اليوم بـ (جمهورية أرمينيا). أما الآلاف من قتلى الأرمن فقد سقطوا في ميدان القتال، وليس بمذابح وحشية كما فعلوا هم بالمسلمين. لقد أسقط العثمانيون حلم (أرمينيا الكبرى)، وهذه جريمة لا تغتفر بالنسبة للغرب.

اليوم، يحمل الغرب (العلماني ظاهرا، الصليبي باطنا) راية قضية (مذابح الأرمن)، ويلوحون بهذه الراية، بعد تزوير سير أحداثها وتقديمها بصورة معاكسة تماما للحقيقة. مع أنه توجد وثائق رسمية لدى كلا طرفي الصراع، الأتراك والروس، تثبت مسئولية الأرمن عما حدث.

يحمل هذه الراية خصوصا ثلاث دول: أمريكا وفرنسا وألمانيا. وهذا يذكرنا بالعاهرة (نرجو المعذرة) عندما تتكلم عن الشرف!

أمريكا التي أبادت الملايين من سكان البلاد الأصليين وأقامت حضارتها على أشلائهم وجماجمهم. أتدرون كم هي نسبة السكان الأصليين الذين يعرفون باسم (الهنود الحمر) اليوم في أمريكا؟ أقل من (١%)!

وفرنسا التي أبادت أكثر من مليون جزائري أثناء حرب الاستقلال، أي في عقدين من الزمان فقط. فكم ستكون المحصلة النهائية طوال فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر، أي من (١٨٣٢ إلى ١٩٦٢م)؟!

وألمانيا التي تسببت في أكبر المجازر البشرية في تاريخ العالم: الحرب العالمية الأولى، حيث (٢٠) مليون قتيل، والحرب العالمية الثانية حيث (٦٠) مليون قتيل. وبالمناسبة، بعد الحرب العالمية الثانية، بدأت ألمانيا بدفع المليارات لليهود كتعويض لهم بسبب ما عرف بـ (الهولوكوست اليهودي)، ولم تدفع فلسا واحدا لسائر الشعوب الأوروبية، التي قتلت ألمانيا عشرات الملايين من أبنائها. هذه هي عدالة الغرب المنافق: التعويض حق لليهود فقط!

هذه حقيقة مذابح الأرمن، وهكذا يستخدم الغرب ملفات حقوق الإنسان: ليس لصالح بني الإنسان، ولكن حسب ما تمليه المصالح، وحسب ما تفرزه الأحقاد والضغائن.

قبل أن ينقرض الكتاب!

أمّة "اقرأ" أصبحت لا تقرأ.. ونبذت الكتاب وألقته وراءها ظهريا!

هذا ما كشفت عنه الإحصاءات الصادرة من بعض المؤسسات العالمية والعربية خلال السنوات القليلة الماضية، مثل: منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مؤسسة الفكر العربي، شركة سينوفات المتعددة الجنسيات لأبحاث السوق، المجلس الأعلى للثقافة في مصر.

أرقام مروعة تكشف عن حجم المأساة فيما يتعلق بجانب القراءة والاهتمام بالكتاب:

- متوسط معدل القراءة في العالم العربي لا يتعدى (رُبع) صفحة للفرد سنوياً..
- كل (٨٠) عربياً يقرؤون كتاباً واحداً، بينما المواطن الأوروبي يقرأ (٣٥) كتاباً في السنة، والمواطن (الإسرائيلي) يقرأ (٤٠) كتاباً..
- العربي يقرأ بمعدل (٦) دقائق سنوياً، بينما يقرأ الأوروبي بمعدّل (٢٠٠) ساعة سنوياً..
- أنتجت الدول العربية (٦٥٠٠) كتاب عام ١٩٩١، بالمقارنة مع (١٠٢ ألف) كتاب في أمريكا الشمالية، و(٤٢ ألف) كتاب في أمريكا اللاتينية..
- عدد كتب الثقافة العامة التي تنشر سنوياً في العالم العربي لا يتجاوز الـ (٥٠٠٠) عنوان. أما في أمريكا، على سبيل المثال، فيصدر سنوياً نحو (٣٠٠ ألف) عنوان..
- الكتاب العربي لا يطبع منه إلا (ألف) أو (ألفان)، وفي حالات نادرة تصل إلى (٥ آلاف)، بينما تتجاوز النسخ المطبوعة لكل كتاب في الغرب (٥٠ ألف) نسخة، وقد يصل إلى أكثر من هذا العدد..
- تصل نسبة ترجمة الكتب في الوطن العربي إلى (٢٠%) من الكتب التي يتم ترجمتها في اليونان مثلاً.

تمثل هذه الحالة أدنى ما وصلت إليه الأمة خلال تاريخها الطويل مع الكتاب. ذلك الكتاب الذي كان له من القدْر أن قال فيه أجدادنا:

جَلّ قَدْر الكتابِ يا صاح عندي *** فهو أغلى مِنَ الجوهرِ قدرا

والذي قالوا فيه:

أعَزُّ مَكانٍ في الدُّنَى سَرْجُ سابحٍ *** وَخَيرُ جَليسٍ في الزّمانِ كِتابُ

لا شك أن الوضع الاقتصادي المتردي وانشغال الناس بتوفير لقمة العيش له دور كبير في هذا التردي.

ولا شك أن الوضع السياسي المتدهور، وحالة عدم الاستقرار السياسي وتحكم الدكتاتوريات في كثير من الدول العربية، له أيضا دور كبير في هذه المأساة، فالطغاة لا يشجعون على القراءة ولا يحترمون الكتاب، حتى يظل الجهل وانعدام الوعي هو سيد الموقف!

كذلك أدوات الإعلام والاتصال الحديثة، من فضائيات وغيرها لها دور في تراجع دور الكتاب، وانتشار الأمية الثقافية والسياسية بين الشعب العربي.

أيضا اقتصار شرائح كبيرة من الناس على استخدام ما يسمى بوسائل التواصل الاجتماعي الحديثة إلى درجة الإدمان! إذ أن هذه الوسائل توفر خدمات (سهلة ووفيرة)، ولكن (هزيلة وغير موثقة)، مما يؤدي إلى التمكين للتعامل الخطأ مع الثقافة والمعرفة.

لا شك أن المؤسسات الرسمية معنية بإصلاح هذا الخلل، وهي المؤسسات المعنية بشئون التربية والتعليم والإعلام والثقافة والشباب. كما أن لمؤسسات المجتمع المدني، من جمعيات ونوادٍ ومراكز شبابية، دور مهم أيضا.

ولكن تبقى المسئولية الكبرى ملقاة على عاتق تلك المؤسسة (الأصغر) في المجتمع.. الأصغر حجما والأكبر والأهم تأثيرا، ألا وهي الأسرة.. من الأسرة تبدأ التربية، وفيها تتشكل الجزئية الأكبر من شخصية الفرد.

ما الذي يربطنا بفلسطين والقدس؟

١- يربطنا بفلسطين كتاب ربنا عز وجل: {**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله**}. (الإسراء ١).

٢- يربطنا بفلسطين سنة نبينا ﷺ: **"لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى"**. رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجة..

٣- يربطنا بفلسطين تاريخنا الإسلامي المجيد: غزوة مؤتة، وملحمة اليرموك، ومعركة أجنادين..

٤- يربطنا بفلسطين تضحيات صحابة رسول الله ﷺ، الذين كان لهم الدور البارز في فتح فلسطين وتحرير بيت المقدس من دنس الروم: أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، أبو عبيدة بن الجراح، خالد بن الوليد، عمرو بن العاص، يزيد بن أبي سفيان وغيرهم رضي الله عنهم جميعا.

٥- يربطنا بالقدس الشريف تضحيات القادة العظام الذين كان لهم الدور البارز في الفتح الثاني للقدس وتحريرها من دنس الصليبيين: عماد الدين ونور الدين وصلاح الدين وغيرهم رحمهم الله جميعا.

٦- يربطنا بفلسطين والقدس تضحية السلطان عبدالحميد رحمه الله بعرشه وسلطانه من أجل الدفاع عن أرض فلسطين ومسرى رسول الله ﷺ.

٧- يربطنا بفلسطين تضحيات وبطولات أبناء فلسطين اليوم بكل ما يملكون من وسائل لتحرير أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين من دنس اليهود.

هذا الذي يربطنا بفلسطين: دين وعقيدة، قرآن وسنة، سيرة وتاريخ، بطولات وتضحيات.

فلسطين منا في القلب، في العقل، في الضمير، في الوجدان، إلى يوم الدين.

ما هو الدهاء السياسي؟

تُعرّف السياسة بأنها "فن الممكن"، وبالتالي: فإن السياسي الداهية -حسب هذا التعريف- هو الذي يتبع كل الطرق للوصول إلى أهدافه، بغض النظر عن الحلال والحرام، وهذا تعريف ميكيافيللي بحت، يبتعد عن مفهوم السياسة الشرعية في الإسلام.

أما الدهاء السياسي من منطلق إسلامي وإنساني فقد عرّفه مفكر إسلامي معاصركما يأتي:

"رزانة العقل، وقوة البصيرة، وحدّة النظر في الأمور، وسعة الحيلة، وحسن التخلص في العظائم، والقدرة على حل المشكلات". وكل ذلك ليصب في مصلحة الإسلام والمسلمين.

ومن هنا، جاء وصف أربعة من كبار الشخصيات في الإسلام بـ "الدهاة"، فقيل: "دهاة العرب أربعة: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وزياد ابن أبيه، والمغيرة بن شعبة"، رضي الله عنهم.

ونضيف إلى التعريف السابق، هذه الخصال:

- إجادة فن اللعب مع الكبار.

- إجادة فن استخدام أوراق القوة.

- القدرة على الخروج من الصراع **بأكبر قدر** ممكن من المكاسب، وفي حالة الضعف: القدرة على الخروج من الصراع **بأقل قدر** ممكن من الخسائر.

- القدرة على المناورة، والتراجع خطوة واحدة أحيانا في سبيل التقدم عدة خطوات لاحقا.

- امتلاك الوعي الكافي بكل من المحيط المحلي، والإقليمي، والدولي.

- المعرفة التامة بقدرات الخصم ونقاط القوة والضعف لديه.

- يمتلك مناعة ضد الاستغفال والاستدراج من قِبَل العدو.

- لا يلدغ من جحر مرتين.

هذا هو "السياسي الداهية".. يا تُرى: كم من قادة العمل الإسلامي المعاصر يتصف بهذه الصفة؟!

أساطير معاصرة من ديار الغرب

للحضارة الغربية نصيبها الوافر من الأساطير والأوهام والخزعبلات. بعض هذه الأساطير تضرب في جذور التاريخ إلى أيام الإغريق والرومان، وبعضها حديث نسبيا وتعود إلى أيام ما عرف بعصر النهضة والثورة الصناعية. هذه بعض من أهم الأساطير السائدة في ديار الغرب اليوم:

<u>١- الديمقراطية:</u> يتغنى بها الغرب ليلا ونهارا، ويتفاخر بها سرا وجهارا! تعريفها الرسمي عندهم: "حكم الشعب للشعب، ومن أجل الشعب". إنها أسطورة، فحقيقتها عندهم: "حكم الشعب للشعب في ديار الغرب فقط، ومن أجل الشعب في ديار الغرب حصرا"! ولذلك، لا مانع عندهم من تدبير الانقلابات في دول (العالم الثالث) التي تتبنى الديمقراطية، إذا كانت هذه الديمقراطية في غير صالحهم.

<u>٢- العلمانية:</u> إنها (الديانة الرسمية) في ديار الغرب، ولكن بشرط: أن تكون هذه العلمانية فيما بينهم فقط، أما إذا كان الأمر بينهم وبين غيرهم من الشعوب، خاصة الشعوب المسلمة، فإن الحقد الصليبي الدفين هو الحاكم.

<u>٣- الليبرالية:</u> بها يتعايشون فيما بينهم، ولكن يطبقون نقيضها مع غيرهم، فالحريات في السياسة والاقتصاد والثقافة والإعلام هي شأن داخلي غربي، لا شأن للشعوب الأخرى بها، ولهذا، مارسوا أبشع أنواع القهر والإجرام والاستبداد مع الشعوب المستعمَرة طوال قرون.

<u>٤- حقوق الإنسان:</u> رايات يرفعونها حسب ما تقتضيه مصالحهم. ولذلك، يملئون الدنيا ضجيجا إذا اعتقل أو حوكم مجرم خوّان في بعض البلدان، بينما يسكتون عن أبشع أنواع الانتهاكات في بلدان أخرى!

<u>٥- حرية الرأي:</u> هي أيضا مجرد أسطورة. ونكتفي بمثال صارخ واحد: في فرنسا، الرسوم المسيئة بحق رسول الله ﷺ تُعتبر (حرية رأي)، وهذا ما أكد عليه الرئيس الفرنسي (مسيو ماكرون) مرارا.. ولكن إليكم هذا الخبر الملفت: "استدعت الخارجية الفرنسية، السفير الروسي لدى باريس بسبب نشر السفارة على تويتر رسما ساخرا عن أوروبا. فقد نشرت سفارة موسكو في باريس كاريكاتيرا ساخرا لجثة فوق طاولة وعليها كلمة (أوروبا) في حين يقوم شخصان يمثلان الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي بحقنها إبرا. وأوضحت الخارجية الفرنسية في بيان، أنها استدعت السفير الروسي إلى مقرها واعتبرت ما نشرته السفارة الروسية <u>غير مقبول</u>".

أرأيتم! الإساءة لأوروبا (غير مقبول)، والإساءة لسيد البشرية عليه الصلاة والسلام (حرية رأي)!

<u>٦- المساواة بين البشر:</u> أسطورة لا نصيب لها على أرض الواقع، ويكفينا الإشارة هنا إلى ازدواجية التعامل بين اللاجئين الأوكران ذوي البشرة البيضاء والعيون الزرقاء والشعر الأشقر من جهة، وسائر اللاجئين من أجناس وأديان أخرى.

هذه بعض من أهم (المبادئ) التي يروج لها الغرب المنافق، بينما الحقيقة التي تتكشف للعيان من حين لآخر أن هذه (المبادئ) هي مجرد أساطير دعائية، فالحضارة الغربية مفعمة بالروح الصليبية، وبالنزعة الاستعمارية، والرغبة الجامحة في التمييز العنصري بين الغربيين وغيرهم.

الدكتور عدنان إبراهيم وأشكاله

محاولات هدم الإسلام من الداخل قائمة على قدم وساق، وذلك بإثارة الشبهات وخلق حالة من الفوضى الفكرية والخلط الثقافي في مجتمعات المسلمين. كان للمستشرقين القدم المعلى في هذا الشأن، أعقبهم جيل من تلاميذهم، من أبناء المسلمين، الذين أتموا مهمة سادتهم المستشرقين ولكن بأسماء إسلامية، وتحت مسمى (التجديد) و(إعمال الفكر)! وكان من بين أبرز تلاميذ المستشرقين من الجيل الأول طه حسين وأحمد أمين.. واستمر التفريخ، فنجد على رأس القائمة اليوم من مثيري الشبهات: الدكتورعدنان إبراهيم.

الدكتور عدنان إبراهيم، المقيم في أوروبا يحمل فكرا هو مزيج من التفلسف والتصوف والتشيع والاستشراق، مع اعتداد بالنفس لدرجة عالية جدا، والقيام بحركات بهلوانية أثناء إلقائه لخطبه ودروسه، والتلفظ بألفاظ بعيدة عن الأدب بحق عمالقة مثل البخاري ومسلم وابن تيمية رحمهم الله وغيرهم.

من ركائز منهجه: رد أحاديث صحيحة، والاستشهاد بأحاديث ضعيفة.. تبني روايات تاريخية ذات أسانيد باطلة.. الاستشهاد بأحاديث صحيحة ولكن مع اقتطاع أجزاء منها بحيث يتغير المعنى.. مدح شخصيات تاريخية، ثم ذمها في مقام آخر حسب الحاجة.. التعسف في تأويل بعض الأحاديث والروايات التاريخية.. ممارسة التدليس والتزوير مع النصوص التاريخية.

في خطبة له بعنوان (لأنهم لا يكفيهم القرآن)، ينتقد عدنان حديثا في صحيح البخاري، وهو حديث الجارية التي رضّ يهودي رأسها بالحجر، فسألها الرسول ﷺ عن الفاعل، أهو فلان أم فلان وهي لا تستطيع الكلام، فلما سألها أهو اليهودي أومَأَت برأسها، فأمر الرسول بقتله. يرد عدنان هذا الحديث لأن الرسول ﷺ لا يمكن أن يأمر بقتل إنسان بهذه السهولة، أي بمجرد إيماءة رأس!

وبالرجوع إلى صحيح البخاري، نجد الحديث بهذا النص: "عن أنس بن مالك: أن يهوديًّا رضَّ رأسَ جاريةً بين حجرين، فقيل لها: مَن فعَلَ بك هذا، أفلانٌ، أفلانٌ؟ حتى سمَّي اليهوديَّ، فأَوْمَأَتْ برأسِها. فجِيءَ باليهوديِّ **فاعتَرَفَ**، فأَمَرَ به النبيُّ ﷺ فرَضَّ رأسَه بالحجارةِ".

انظروا إلى الأمانة العلمية: حذف عدنان إبراهيم كلمة **(فاعترف)**، وهي كلمة محورية في القصة. ومثل هذا التدليس كثير جدا عند عدنان إبراهيم.

مثال آخر على التدليس والتزوير: في معرض طعنه وتطاوله على سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، يستشهد بقصة ذكرها ابن كثير رحمه الله في (البداية والنهاية)، عن الحملة التي أرسلها معاوية إلى اليمن بقيادة بسر بن أبي أرطأة، وكيف أن بسرا ارتكب مذبحة، وقتل طفلين صغيرين من أبناء عبيدالله بن عباس رضي الله عنهما، الذي كان واليا على اليمن من قِبَل سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وبالرجوع إلى (البداية والنهاية)، نجد أن ابن كثير قد ساق هذا الخبر نقلا عن الطبري، وذكر في نهاية الخبر هذه العبارة: **"وفي صحته عندي نظر والله تعالى أعلم".**

ولكن الدكتور عدنان حذف عبارة ابن كثير الأخيرة، مع أن رأي ابن كثير صحيح، فقد ذكر العلماء أن هذه الرواية ضعيفة الإسناد ولا تصح.

من أكثر طرق التدليس والخداع التي يمارسها عدنان إبراهيم، أن يستشهد برواية معينة صححها فلان من أهل العلم، ويذكر ذلك للحضور، ويخفي حقيقة أن العشرات من العلماء والمحدثين الآخرين قد ضعفوا هذه الرواية، وبالمحصلة النهائية تكون هذه الرواية ضعيفة. هذا التدليس يمارسه عدنان مئات المرات.

وفي أحيان كثيرة يأتي برواية معينة لإثبات مسألة تناسب مزاجه وميوله الطائفية، ويتجنب ذكر عشرات الروايات الأخرى الواردة في نفس المسألة، والتي تعطي انطباعا آخر عما يريد إثباته. إنه غير صادق إطلاقا في نقولاته واستشهاداته.

الحس الطائفي الشعوبي طاغ عند الدكتور عدنان، يقول عن الصحابة رضي الله عنهم: **"والصحابة فيهم ملاعين وَالْدَين"..** بينما يقول عن الخبيث ياسر الحبيب: **"لا تلعنوه، الله يهديه"!**

من (خرابيط) عدنان اعتقاده أن اليهود والنصارى ممكن أن يدخلوا الجنة إذا آمنوا بمحمد ﷺ، دون الدخول في الإسلام! لم يصل إلى علم الدكتور قوله تعالى: **"وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ"**. (آل عمران ٨٥).

ومن أساليبه في التشكيك وإثارة الشبهات، أن يلقي بالشبهة ثم لا يردّها، بل يوحي للحضور بصحتها، مثل أن يتكلم عن أزلية الكون، أي أن الكون لم يخلقه الله عز وجل، بل موجود منذ الأزل! أو أن يتكلم عن عصمة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأنه لا يخطأ!

عدنان إبراهيم لديه مزيج غريب من الغرور والدجل! يقول عن نفسه:"أنا حياتي عبارة عن تواصل مستمر مع الله عز وجل، يعرف هذا المقربون"! ولا نعلم من هم هؤلاء الـ (مقربون).

كما يدعي أن له كرامات، منها: أن القلم انكسر في يده ثم رجع صحيحا كما كان! وأن الجن جاؤوا إليه وطلبوا منه الدعاء! وأنه وضع يده على جهاز إضاءة فأضاء المصباح مع أن السلك لم يكن موصولا بالكهرباء!

الفيلسوف عبدالرحمن بدوي.. يا لها من عبرة

الفيلسوف المصري الدكتور عبدالرحمن بدوي (١٩١٧-٢٠٠٢م) هو القطب الأكبر والرمز الأشهر للفلاسفة العرب المعاصرين، بل كانت شهرته عالمية بامتياز. أمضى حياته وهو يجوب أقطار أوروبا متتبعا آثار الفلاسفة الإنجليز والألمان والطليان والفرنسيين، مترجما ومروجا لأعمال أفلاطون وأفلوطين وأرسطو وسقراط.

كان ذكيا حاد الذكاء، مجدا في عمله، مكثرا في إنتاجه، يؤلف ويكتب ويحاضر بعدة لغات أوروبية، وقد تبنى (الفلسفة الوجودية)، التي تؤله الإنسان، و(تحرره) من كل منظومة دينية وعقدية. يقول الدكتور بدوي: **"الوجود الحق والوحيد هو الوجود الإنساني، حتى صارت شارته هي: من الإنسان وإلى الإنسان بالإنسان، أو: كل شيء للإنسان، ولا شيء ضد الإنسان، ولا شيء خارج الإنسان"**. (الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، ص٦).

وكان للدكتور طه حسين دور كبير في تشجيعه وتوجيهه إلى الفلسفة، ولنقل: في ضلاله وانحرافه. يقول ابن الصلاح رحمه الله: **"الفلسفة رأس السفه والانحلال، ومادة الحيرة والضلال، ومثار الزيغ والزندقة، ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة"**. (فتاوى ابن الصلاح، ص٢١٠).

ولكن يظهر أن بدوي كانت تتنازعه أيضا نزعة عربية وإسلامية خفية، كانت تظهر أحيانا في بعض مواقفه وكتاباته. من الأمثلة الواضحة على ذلك، كتابه (دفاع عن القرآن ضد منتقديه)، الذي صدر عام ١٩٨٩م، وكتابه الآخر (دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره)، الصادر عام ١٩٩٠م. ولكنه استمر في ترويج فكره الانحلالي الوجودي إلى أواخر حياته، فقد أصدر كتاب (سيرة حياتي) في سنة ٢٠٠٠م، ولا يبدو فيه أي أثر للتوبة، فهو يروج لفكره بكل قوة في هذا الكتاب، بل ويتباهى بمغامراته (العاطفية) مع بنات أوروبا بلا خجل ولا حياء!

ثم حدثت المفاجأة: أعلن الدكتور بدوي توبته بصورة جلية واضحة، وهو على فراش المرض في مستشفى بالقاهرة. كان الحدث مفرحا للمؤمنين، وصدمة للمنحرفين.

قبل وفاته بأيام، في شهر يوليو ٢٠٠٢م، أجرت معه مجلة (الحرس الوطني) مقابلة صحفية، فجاءت توبته مدوية لا لبس فيها، قال: **"لا أستطيع أن أعبر عما بداخلي من إحساس الندم الشديد، لأنني عاديت الإسلام والتراث العربي لأكثر من نصف قرن. أشعر الآن أنني بحاجة إلى من يغسلني بالماء الصافي الرقراق، لكي أعود من جديد مسلما حقا. إنني تبت إلى الله وندمت على ما فعلت. وأنوي إن شاء الله -بعد شفائي- أن أكون جنديا للفكر الإسلامي**

وللدفاع عن الحضارة التي أشادها الآباء والأجداد ... أتمنى أن يمد الله في عمري لأخدم الإسلام وأرد عنه كيد الكائدين وحقد الحاقدين". (مجلة الحرس الوطني الفصلية، بتاريخ ١ أكتوبر ٢٠٠٢م، العدد ٢٤٤).

وانتقد أستاذه طه حسين قائلا: **"ليقارن القارئ والباحث بين إنتاج طه حسين وإنتاج معاصريه، كالرافعي مثلا، ذلك الأديب الكبير المظلوم، الذي يمتلك قدرات ومؤهلات أدبية وفكرية خارقة، وصاحب قلم رشيق، وخيال خصب، وعبارات مبتكرة، وكتابات توزن بميزان الذهب. بينما نجد على النقيض أعمال طه حسين الضاربة في اتجاه معاداة الإسلام واللغة العربية، والدعوة إلى الفكر الغربي ثقافة وأدبا".**

إنها لحظة الحقيقة.. جاءت متأخرة، لكنها جاءت.. **(فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ).**

يقول الدكتور عبدالقادر بن محمد الغامدي في كتابه النفيس عن الدكتور بدوي: **"ظهر لنا من سيرة عبدالرحمن بدوي جليا حكمة الشارع في المنع من مخالطة الكفار ومصاحبتهم واتخاذهم بطانة، فعبدالرحمن بدوي من نتائج تلك المخالطة".** (عبد الرحمن بدوي ومذهبه الفلسفي، ومنهجه في دراسة المذاهب، ص٥٦٩).

تمنى الدكتور بدوي أن يمد الله في عمره ليخدم الإسلام، ولكن: **(وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا)..** و"إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى".

رحم الله عبدالرحمن بدوي وغفر له.

القابلية للمقاومة في أمتنا: الشعب الفلسطيني أنموذجا

منذ أن دنس جنود الحملة البريطانية أرض فلسطين الطاهرة عام ١٩١٧م بعد هزيمة الدولة العثمانية، ومنذ أن دخل الجنرال (ألِنبي) قائد الحملة القدس الشريف وهو يردد (اليوم انتهت الحروب الصليبية)، منذ ذلك الحين والشعب الفلسطيني البطل لم يتوقف لحظة واحدة عن الجهاد في سبيل الله، والدفاع عن العقيدة والأرض سواء ضد الجيش البريطاني المحتل، أو ضد قطعان المهاجرين اليهود الذين بدءوا في الهجرة إلى فلسطين بعد وعد بلفور.

ولعل أحداث أبريل عام ١٩٢٠م دليل على مدى استعداد الشعب الفلسطيني لتلبية نداء الواجب تجاه الدين والوطن. ففي تلك السنة تحرش اليهود أثناء احتفال لهم بالعرب، وحاولوا خطف العلم العربي وإهانة حامله، فدارت معركة بين العرب من جهة، والجيش البريطاني واليهود من جهة ثانية، وحاصرت القوات البريطانية مدينة القدس، واستمرت المعركة لمدة خمسة أيام، سقط خلالها العديد من الشهداء والجرحى.

أما ثورة البراق في عام ١٩٢٩م فقد شملت معظم مناطق فلسطين دفاعا عن الحق الإسلامي في حائط البراق، وهو الحائط الغربي للمسجد الأقصى الذي يطالب اليهود بامتلاكه باعتباره حائط المبكى الذي يقدسونه. وقد قامت معركة عنيفة عند ممر البراق، حيث قام العرب بهجمات على مجموعات مسلحة من اليهود، أسفرت عن ٢٨ قتيلا، وسقط من العرب ١٣ جريحا، وكانت المعركة تدور في أحياء القدس، من شارع إلى شارع، واستمرت المعركة طوال يوم ٢٣ أغسطس من عام ١٩٢٩م.

ثم سرت أنباء الثورة، فقامت معركة في الخليل سقط فيها ٦٠ يهوديا، فأسرعت قوات الاحتلال إلى توزيع السلاح على الرعايا البريطانيين وآلاف اليهود المدربين. واندلعت المعارك في ضواحي الخليل، كما نشبت معركة في مدينة صفد سقط فيها تسعة من اليهود. واستمرت المعارك والاضطرابات وأعمال المقاومة عدة أيام، استدعت بريطانيا خلالها قوات من خارج فلسطين.

أما الشيخ الشهيد عز الدين القسام رحمه الله ومجموعته فقد قاموا ببعض العمليات البطولية ابتداء من عام ١٩٣٠م.. وفي العشرين من نوفمبر عام ١٩٣٥ طوقتهم قوات كبيرة من الشرطة تقدر بـ ٤٠٠ رجل معظمهم من الإنجليز في أحراش (يعبد) في منطقة جنين، واستمرت

المعركة أربع ساعات ونصف، قتل خلالها من الإنجليز ١٥ جنديا، واستشهد الشيخ القسام واثنين من أصحابه وأسر الباقون. وقد أحدث استشهاد القسام ورفاقه هزة عنيفة في فلسطين، فشيع جنائزهم حوالي ثلاثين ألفا من الأهالي، قدموا إلى حيفا من مختلف أنحاء فلسطين.

أما الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦ – ١٩٣٩م) فقد كانت ثورة عارمة، شملت المدن والقرى، واستدعى الإنجليز خلالها قوات إضافية من مصر، بما في ذلك الطائرات والدبابات.

أما صور البطولة والجهاد في أحداث عام ١٩٤٨م فهي كثيرة، منها معركة القسطل وبطلها الشهيد عبد القادر الحسيني رحمه الله، الذي حرر وصحبه مدينة القسطل في الثامن من أبريل ١٩٤٨م، وقتل من اليهود ما يزيد عن ٣٥٠، إلا أن نفاذ الذخيرة واستشهاد القائد الحسيني، واستعانة اليهود بالمصفحات البريطانية مكنت اليهود من إعادة احتلال المدينة.

واستمرت أعمال المقاومة ولم تتوقف أبدا. فعلى سبيل المثال تشكل تنظيم عسكري عام ١٩٧٩م في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م، وقد نفذ هذا التنظيم عشرات العمليات العسكرية ودمر العديد من المنشآت الاقتصادية اليهودية، واكتشف أمر هذا التنظيم عام ١٩٨٠م واعتقلت السلطات الإسرائيلية أكثر من ٦٠ شابا. وصرح مستشار (بيغن) للشئون العربية (غور أريه) أنه "لو لم تكتشف أمر هذه الحركة في الوقت المناسب لتعرض أمن إسرائيل ومستقبلها إلى خطر عظيم".

وفي قطاع غزة تأسست مجموعة أخرى عام ١٩٨٤م بزعامة الشيخ الشهيد أحمد ياسين رحمه الله ، اكتشفتها السلطات الإسرائيلية فيما بعد.

ثم جاءت الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٧م، والثانية عام ٢٠٠٠م لتثبت أصالة الشعب الفلسطيني البطل وقدرته العظيمة على المقاومة والصمود. جاءت الانتفاضة لتقول للعرب أولا، ثم للعالم أجمع بأن التسكع والانتظار أمام البيت الأبيض ليس بالنهج الرشيد، وأن المقاومة هي السبيل لتحرير الديار.

وقد جاء الإعلان عن ولادة حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في عام ١٩٨٧م ليعطي زخما قويا لنضال الشعب العربي الفلسطيني المسلم، وهاهي أحداث غزة تثبت للعالم كله أن نهج حماس هو الأساس، وليس نهج أوسلو ومدريد وشرم الشيخ.

إن الدماء الطاهرة التي روت أرض فلسطين في اليرموك وأجنادين وحطين وعين جالوت، وتلك الدماء التي سالت من أمثال القسام والحسيني والياسين والرنتيسي وصلاح شحادة وسعيد صيام .. هذه الدماء أعز وأكرم عند الله تعالى من أن تذهب هدرا.

الصلة بين اليهود والشيوعية: حقائق وأرقام

لا يستطيع أحد أن يتجاهل تلك العلاقة الوطيدة والمريبة بين اليهودية بصفة عامة، والحركة الصهيونية الحديثة بصفة خاصة، وبين الشيوعية.

جاء في البيان الشهير للمشرق الأعظم الفرنسي الماسوني لعام ١٩٠٤ في الصفحة (٢٣٧) ما يلي: "إن الماركسية واللاقومية هما وليدتا الماسونية، لأن مؤسسَيها (كارل ماركس) و(إنجلز) هما من ماسونيي الدرجة الحادية والثلاثين، ومن منتسبي المحفل الإنجليزي، وإنهما كانا من الذين أداروا الماسونية السرية، وبفضلها أصدرا البيان الشيوعي المشهور".

ويؤكد الصلة العميقة للشيوعية بالقيادات اليهودية العالمية أن معظم مؤسسي المنظمات الشيوعية في العالم، ومعظم زعمائها التاريخيين هم من اليهود. فكارل ماركس نفسه يهودي، يقول إدموند ولسون المؤيد للفكر الماركسي في كتابه (تاريخ الفكر الاشتراكي المعاصر): **"لقد تركز في عروق كارل ماركس دم سلالات مختلفة من حاخامات اليهود، وظهر الحاخامات في أسرة أمّه على مدى قرن من الزمان على الأقل، وأنتجت أسرة والدي أبيه كليهما تسلسلا غير منقطع من الحاخامات، وكان بعضهم من المعلمين المرموقين ..".**

اليهود والثورة الشيوعية في روسيا

أما لينين فيهودي كذلك حتى النخاع، وعندما أصدر مع مجموعة من رفاقه صحيفة (إسكرا)، أي الشرارة في العام ١٩٠٠م، كان أربعة من أعضاء مجلس إدارة الصحيفة الستة من اليهود! وهم: (لينين، زاتسوليتش، اكسلرود، ومارتوف). وفي العام ١٩٠٣م، انعقد في بروكسل مؤتمر للمنظمات والاتحادات العمالية والاشتراكية، بهدف توحيد الحركات الماركسية، وقد حضر المؤتمر ستون عضوا، بينهم ثلاثة وأربعون من اليهود! وبعد نجاح الثورة البلشفية في روسيا واستيلاء لينين على السلطة في العام ١٩١٧م، **تم تشكيل أول مجلس شيوعي مكون من (٥٤٧) عضوا، منهم (٤٤٧) من اليهود! كما تم تأسيس اللجنة المركزية للحزب الشيوعي من (٣٨٨) عضوا، منهم (٣٧١) من اليهود!** وفي عهد ستالين، تحديدا في العام ١٩٥١م كما ينقل الأستاذ محمد خليفة التونسي في كتابه (الخطر اليهودي – بروتوكولات حكماء صهيون)، **كان المجلس الشيوعي يتألف من سبعة عشر عضوا، منهم أربعة عشر من اليهود!**

اليهود ودورهم في الحركات الشيوعية في أوروبا الشرقية

أما في دول أوروبا الشرقية، فإن دور اليهود فيها كان بارزا كذلك، فالثورة الشيوعية التي اندلعت في ألمانيا في العام ١٩١٨م كان الدور البارز فيها لليهودية (روزا لوكسمبورغ)،

والثورة الشيوعية الدامية التي اندلعت في هنغاريا العام ١٩١٩م كانت بقيادة اليهودي (بيلاكون). وفي رومانيا، كانت سكرتيرة الحزب الشيوعي هي اليهودية (أنّا باوكر). أما في بولندا، فقد قاد الحركة الشيوعية فيها أربعة من اليهود هم (مينك، سكريزفسكي، مودزيلفسكي وبرمان) !

اليهود والأحزاب الشيوعية العربية

أما المأساة الكبرى بالنسبة لأمتنا فهي الأحزاب الشيوعية العربية، وعلاقاتها (الخاصة) مع اليهود، وخياناتها للقضية الفلسطينية .

فأول حزب شيوعي في البلاد العربية هو الحزب الشيوعي الفلسطيني، الذي تأسس في العام ١٩١٩م، وكان جميع عناصره من اليهود الروس المهاجرين إلى فلسطين!

ثم تأسس الحزب الشيوعي لسوريا ولبنان في عام ١٩٢٤م، ومما يرويه الشيوعي السابق قدري قلعجي في كتابه (تجربة عربي في الحزب الشيوعي)، أنه كان لليهود دور بارز في التأسيس الحزبي والتأصيل الفكري لهذا الحزب، مثال ذلك جهود اليهودي البولندي (جوزيف بيرجر)، واليهودي الليتواني (إلياهو تيبر).

أما في العراق، فقد كان المسئول عن المكتب السياسي للحزب الشيوعي فيها هو اليهودي (يهودا صدّيق)، والمسئول الأول عن عمال بغداد هو اليهودي (يوسف زلّوف)، الذي صار المسئول عن التنظيم في مدينة البصرة، ومن المسئولين الكبار كذلك في الحزب الشيوعي العراقي (حزقيل صدّيق، موشي مراد كوهين، يوسف زلخة، ساسون دلّال، موشي مختار وإبراهيم شاؤول) وكلهم من اليهود.

وفي مصر انطلق الحزب الشيوعي المصري على أيدي اليهود أيضا، فقد تأسست الحلقات الشيوعية الأولى في مصر بإشراف كل من (أفجيدرو) و(ناداب)، وكلاهما من اليهود الروس. ثم تأسست الحركة المصرية للتحرر الوطني (حدتو) على يد المليونير اليهودي الإيطالي الشهير (هنري كورييل). وأسس اليهوديان الآخران (هيلل شفارتس) و(إيلي شوارتز) منظمة (إيسكرا) الشيوعية.

والحزب الشيوعي في المغرب تأسس أيضا في العام ١٩٣٤م تحت قيادة الشيوعي المغربي (ليون سلطان).

الرفاق العرب والقضية الفلسطينية

كان موقف الأحزاب الشيوعية العربية من قضية فلسطين موقفا مخزيا، دل على التبعية التامة للقوى الدولية المعادية للأمة العربية والإسلامية.

فقد اشتركت جميع هذه الأحزاب في تأييد تقسيم فلسطين، والنظر بعين العطف والمحبة إلى "الشعب اليهودي المسكين"!

فالحزب الشيوعي السوري اللبناني اعتبر حرب عام ١٩٤٨م **"مؤامرة رجعية دينية استعمارية، هدفها بذر الخصومة والعداء بين الشعبين العربي واليهودي"!**

والحزب الشيوعي العراقي كتب في صحيفته السرية (القاعدة) بعددها (١١) عام ١٩٥٣م: **"إن الشعب العراقي يرفض بإباء أن يحارب الشعب الإسرائيلي الشقيق"!**

وكتب الشيوعي العراقي العتيد (يوسف سلمان) الملقب بـ (فهد)، كتب يقول: **"مرحبا بإنشاء دولتين عربية ويهودية في فلسطين، وأشترط لهما الاشتراكية والتحالف ضد الرجعية الدينية العربية"!**

وأصدر الشيوعيون العراقيون كتابا باسم (أضواء على القضية الفلسطينية)، ينتهي بهذه الجمل: **"فلتسقط الحرب بين العرب واليهود في فلسطين.. فليحيا التعاون والتحالف بين الوطنيين والديمقراطيين العرب واليهود، لإحباط خطط الاستعمار والرجعية، ولتحيا الصداقة العربية اليهودية"!**

ويذكر الأستاذ محمد جلال كشك في كتابه (الماركسية والغزو الفكري)، أن الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان، بعد أن انتخب القيادة الجديدة برئاسة (خالد بكداش)، أرسلت هذه القيادة (فرج الله الحلو) إلى تل أبيب لتنسيق العمل، واستقدمت اليهودي (نخمان ليفنسكي) كمستشار.

أما منظمة (حدتو) الماركسية المصرية فقد اعتبرت إن **"إسرائيل مرحلة أعلى وأرقى في التطور الاجتماعي، هي مرحلة الرأسمالية البورجوازية الديمقراطية، في حين أن الدول العربية تمثل مرحلة الإقطاع "!** ودعا قادة (حدتو) إلى **"الإخاء العربي اليهودي والصلح مع إسرائيل"!**

ونشر الحزب الشيوعي المصري في ٢٠ ديسمبر ١٩٤٧م في جريدته (الوعي) تحليلا لمشكلة فلسطين، ومما جاء فيه: **"وإذا قلنا حق تقرير المصير، فمعنى ذلك تخويل الأمة حق**

الانفصال، فإذا اعترفنا بحقيقة تكوين اليهود في فلسطين كأمة، فلا يمكن أن ننكر عليها حق الانفصال عن الأمة العربية، وتكوين دولة يهودية في جزء من البلاد العربية"!

وأما بالنسبة للحزب الشيوعي المغربي، فهناك حادثة مضحكة مبكية، مفادها أن (علي يعتة) زعيم هذا الحزب، ظهر بمناسبة رأس السنة الميلادية عام ١٩٩٤م، في معهد يهودي مرتديا طاقية اليهود التقليدية، وهو يستمع إلى الحبر اليهودي الكبير. وقد صوّر المشهد مصور جريدة (الأسبوع الصحافي السياسي) المغربية في ٧ يناير ١٩٩٤م، كما نشرت الخبر مجلة (البيان) اللندنية في عددها (٨٩).

هذه هي الأحزاب الشيوعية العربية، وهؤلاء هم الرفاق العرب. لم نجد منهم خيرا قط ولن نجد.. مهما بدلوا جلودهم وغيروا راياتهم.

سطور في فقه الواقع

يمكن إدراج فقه الواقع ضمن صنوف المعارف الضرورية للمجتمعات الإسلامية بصفة عامة، وللحركات الإسلامية بصفة خاصة. وهذه المعارف الضرورية -بالإضافة إلى فقه الواقع- هي: فقه الأولويات، فقه الموازنات، فقه الاختلاف، فقه السياسة الشرعية، فقه التدرج، فقه الوسطية.

تعريف

يقول الشيخ ناصر العمر في تعريفه لفقه الواقع: **"هو علم يبحث في فقه الأحوال المعاصرة، من العوامل المؤثرة في المجتمعات، والقوى المهيمنة على الدول، والأفكار الموجَّهة لزعزعة العقيدة، والسبل المشروعة لحماية الأمة ورقيها في الحاضر والمستقبل".**

ويستخدم الشيخ يوسف القرضاوي رحمه الله في هذا الشأن مسمى "الثقافة الواقعية"، فيقول في التعريف بأهميتها: **"الثقافة المستمدة من واقع الحياة الحاضرة، وما يدور به الفلك في دنيا الناس الآن، في داخل العالم الإسلامي وفي خارجه، فلا يكفي الداعية أن يكون قد حصّل العلوم الإسلامية وجال في مراجع الأدب واللغة والتاريخ، وأخذ بحظه من العلوم الإنسانية ومن العلوم التجريبية، ولكنه مع هذا كله لا يعرف عالمه الذي يعيش فيه، وما يقوم عليه من نظم، وما يسوده من مذاهب، وما يحركه من عوامل، وما يصطرع فيه من قوى، وما يجري فيه من تيارات، وما يعاني أهله من متاعب، وبخاصة وطنه الإسلامي الكبير من المحيط إلى المحيط، بآلامه وآماله، وأفراحه ومآسيه، ومصادر قوته، وعوامل ضعفه، وبعد ذلك وطنه الصغير وبيئته المحلية وما يسودها من أوضاع وتقاليد، وما تقاسيه من صراعات ومشكلات، وما يشغل أهلها من قضايا وأفكار".**

علم أصيل

يؤكد الشيخ ناصر العمر على أن أساس هذا العلم موجود في القرآن والسنة. يقول تعالى: {**وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ**} (الأنعام: ٥٥).

فمن فقه الواقع: استبانة سبيل المجرمين، ومعرفة أهدافهم ومخططاتهم. ومن أقوى الأدلة على عناية الكتاب والسنة بفقه الواقع قصة الحرب بين فارس والروم، عندما حزن المسلمون لانتصار الفرس المجوس على الروم من أهل الكتاب. يقول تعالى: {**ألم، غُلِبَتِ الرُّومُ، فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ، فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ**

الْمُؤْمِنُونَ، بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}. (الروم: ١-٥). وإذا كان من المفرح انتصار أقرب الفريقين إلى الحق، أي انتصار أهل الكتاب على المجوس، فإنه من المفرح أكثر أن هذا الموقف يتضمن انتصارا قريبا – إذن - للمسلمين على أهل الكتاب.

وقد وجّه الرسول ﷺ صحابته بالهجرة إلى الحبشة تحديدا وقال: **"إن فيها ملكا لا يظلم عنده أحد"**. وهذا يدل على معرفته عليه الصلاة والسلام بما يدور حوله وأحوال الأمم المعاصرة له.

مجالات فقه الواقع

يستعرض الشيخ القرضاوي جوانب ومجالات فقه الواقع على النحو التالي:
واقع العالم الإسلامي، واقع القوى العالمية المعادية للإسلام، واقع الأديان المعاصرة، واقع المذاهب السياسية المعاصرة، واقع الحركات الإسلامية المعاصرة، واقع التيارات الفكرية المعارضة للإسلام، واقع الفرق المنشقة عن الإسلام، واقع البيئة المحلية.

مستلزمات الفقه السليم للواقع

يدلنا الكاتب الجزائري الأستاذ جمال زواري على هذه المستلزمات:

١) المتابعة المستمرة والمبصرة، والإلمام بمكونات الواقع ومستجدّاته المتتالية.
٢) المرونة، وذلك بانسجام الأفكار والأقوال والأفعال والمواقف مع ما تقتضيه المرحلة، من غير تجاوز للضوابط الشرعية، ولا مصادمة للحقائق الواقعية.
٣) سعة الأفق وبعد النظر، والتقدير الصائب للأحداث وتحليلها وتقييمها.
٤) التحلّي بالحكمة، وهي: (فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي).
٥) ألمعية الذهن وسرعة البديهة، وذلك بالابتعاد عن العقلية التي اشتكى منها الشاعر:
أقول له عمرا فيسمع خالدا *** ويقرؤها زيدا ويكتبها بكرا.
فاللبيب تكفيه الإشارة ، وتغنيه العبارة.
٦) الموازنة والقياس والتمحيص والتنقيح والغربلة والتصفية، عملا بنصيحة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لتلميذه ابن القيم رحمه الله: **"لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة، فيتشربها لا ينضج إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة، تمر الشبهات بظاهرها، ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليها، صار مقرا للشبهات"**.

٧) دراسة التجارب بأنواعها، دراسة نقدية بناءة، لتجنب العثرات، واستثمار الإيجابيات، وقد صدق الرافعي رحمه الله لما قال: **"إذا أردت أن تأخذ الصواب، فخذه عمّن أخطأ".**

٨) معاشرة الآخرين على أحسن ما معهم، أشار إلى هذه القاعدة الإمام ابن القيم رحمه الله بقوله: **"والبصير الصادق من يضرب في كل غنيمة بسهم، ويعاشر كل طائفة على أحسن ما معها".**

٩) التكيف الإيجابي وعدم التعامل بسياسات ردود الأفعال، وقد ذكر الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله أن: **"الظروف تستطيع تكييفنا ولا تستطيع بإذن الله إتلافنا"**، مع ضرورة توفر المناعة العلمية والفكرية والتربوية.

مع الدكتور سعد المرصفي وموسوعته عن الوسطية

من أهم وأشمل ما أُلّف في مجال (الوسطية الإسلامية)، العمل الفكري العظيم الذي قدمه الشيخ الدكتور سعد المرصفي رحمه الله (ت ٢٠١٨م)، أستاذ الحديث وعلومه، وعضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين وذلك من خلال (الموسوعة الوسطية)، وهي عبارة عن (٢٣) جزءا، وكل جزء يحمل عنوانا خاصا.

لنتعرف على مدى شمولية وتكامل هذه الموسوعة، نستعرض بعض عناوينها: الوسطية حقيقة شرعية، مكانة الأمة الوسط، معالم الوسطية، ثقافة الأمة الوسط، الوسطية وأدب الاختلاف، الوسطية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الوسطية والإرهاب العالمي، الوسطية والجهاد، الوسطية والحرية الإنسانية، الوسطية والتكفير، الوسطية ومكارم الأخلاق...

يبين الدكتور المرصفي أهمية النهج الوسطي للأمة فيقول: "واجب الأمة الوسط، خير الأمم، أن تكون في الطليعة دائما، ولهذا المركز تبعاته، فهو لا يؤخذ ادعاءً، ولا يسلّم لها به إلا أن تكون هي أهلا له. والأمة الوسط الخيّرة بتصورها الاعتقادي، وبنظامها الاجتماعي أهل له. فبقي عليها أن تكون بتقدمها العلمي، وبعمارتها للأرض - قياما بحق الخلافة - أهلا له كذلك".

ويستعرض الشيخ دور هذه الوسطية في حياة الأمة من جميع الجوانب: في التفكير والشعور، في التنظيم والتنسيق، في الارتباطات والعلاقات، في المكان والزمان، في الاتفاق والاختلاف، في الحرب والسلام، في الثقافة والسلوك...

ويخصص الشيخ جزءا خاصا عن الإسلام باعتباره دين السلام العالمي، ويبين مدى حاجة الإنسانية إليه. ويخصص جزءا آخر للحديث عن ظاهرة الإرهاب على المستوى العالمي، وكيف أن الإسلام بنهجه الوسطي السمح هو خير من يتصدى لهذا الإرهاب الناتج من دول أو أفراد.

ويؤكد المؤلف على أن مصادر الثقافة الإسلامية، هي الأساس لترسيخ هذه الوسطية فكرا ونهجا وسلوكا، وهذه المصادر هي:

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: السنة النبوية

ثالثا: التراث الإسلامي

رابعا: الإبداع العلمي.

وفي الجزء الأخير، يتكلم الشيخ عن (الوسطية ومكارم الأخلاق وحاجة الإنسانية إليها)، ليؤكد على أن خصائص الإسلام، سواء كانت الوسطية أم غيرها، ستظل أفكارا تحلّق في علم المُثُل لولا أن التطبيق العملي، الناتج عن السلوك السوي هو الذي يعطيها قيمتها الحقيقية.